وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد زبانة - غليزان

مطبوعة بيداغوجية بعنوان

البحث الوثائقي

موجهة إلى طلبة

السنة أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

من إعداد الدكتور

معمري محمد

الموسم الجامعي 2024-2025

مقدمة 6
المحور الأول: مفاهيم حول البحث الوثائقي..... 9
تمهيد 9
1. مفهوم البحث الوثائقي: مدخل حديث 9
2.البحث الوثائقي: نحو مقاربة معرفية منهجية لفهم الظواهر الاجتماعية: 12
3.المعلومات الوثائقية في البحوث العلمية: المناهج والأساليب المستخدمة في توظيفها وتحليلها: .. 13
المحور الثاني: مناهج البحث الوثائقي: اختيار الأسلوب الأنسب لتحليل المعلومات:..... 17
1/ المنهج الإحصائي(Statistical Method) : 17
2/ المنهج التاريخي(Historical Method) :..... 17
3/المنهج التحليلي(Analytical Method) :..... 18
4. المنهج المقارن(Comparative Method) :..... 18
5.المنهج الوصفي (Descriptive Method):..... 19
6. المنهج النقدي(Critical Method) :..... 19
7. المنهج الكمي (Quantitative Method):..... 20
المحور الثالث: البحث الوثائقي ومراحله: مقاربة منهجية في ظل التحول الرقمي..... 21
1. تعريف البحث الوثائقي – رؤية تحليلية 21
2. البحث الوثائقي المحسوب:..... 23
3. البحث الوثائقي عبر الإنترنت:..... 25
المحور الرابع: مراحل البحث الوثائقي: 27
المرحلة الأولى: تحديد أهداف البحث:..... 27
المرحلة الثانية: معرفة مصادر المعلومات:..... 28

المرحلة الثالثة: إيجاد الوثيقة أو الوثائق المناسبة: 28
المحور الخامس: هندسة المعرفة في البحث العلمي – من البيانات الخام إلى المعلومات المعالجة.... 34
أولا: مفاهيم تأسيسية: الفرق بين البيانات والمعلومات: 34
ثانيا: المصادر الثانوية(Secondary Sources) : 36
المحور السادس: أنواع الأوعية المعلوماتية..... 38
1/ المصادر المكتوبة والمصادر غير المكتوبة: 38
2/ المصادر المادية وغير المادية: 39
3/ المصادر الزمنية: السابقة، الحالية، المستقبلية: 39
4/ المصادر الرسمية والمصادر الشخصية:..... 40
5/ المصادر الأولية والمصادر الثانوية:..... 40
6/ مزايا البيانات الثانوية: 41
7/عيوب البيانات الثانوية: 42
المحور السابع: جمع المادة العلمية (التقميش) 44
1. تعريف التقميش لغة: 44
2. تعريف جمع المعلومات:..... 44
3.مفهوم المعلومات: 45
4. خصائص المعلومات: 45
5. شروط جمع المعلومات: 46
6. الفرق بين المعلومات والبيانات: 47
7.طرق وأساليب جمع المعلومات:..... 48
8. طريقة جمع البيانات باستخدام الدفاتر أو الكراسات:..... 50
9. طريقة البطاقات: 50

10.طريقة الكلاسير المفتوح أو الدوسيو المقسم: 53

11. مفهوم تصنيف المادة العلمية: 55

المحور الثامن: استراتيجية البحث الوثائقي وتقنياته: 58

1/نماذج من إستراتيجيات البحث الوثائقي: 58

المحور التاسع: العمليات التوثيقية المعاصرة: التصنيف والتحليل كركيزتين أساسيتين 70

أولا: التصنيف في العمليات التوثيقية 70

ثانيا: التحليل كأداة لفهم واستثمار الوثيقة 70

رابعا: التكشيف: 73

خامسا: المكنز: 73

سادسا: عناصر الوثائق: التصنيف والتحليل : 75

سابعا: الوثائق والموثّق: 76

ثامنا: الصيانة والترميم: 76

المحور العاشر: أنواع الوثائق وأشكالها 78

أ – الوثيقة الكتابية: 78

ب – الوثيقة التصويرية: 79

ج – الوثيقة الصوتية: 80

د – الوثيقة الرقمية: 80

هـ– الوثيقة التشكيلية: 81

المحور الحادي عشر: الاقتباس 83

1/تعريف الاقتباس: 83

2/ أنواع الاقتباس 84

3/تقنيات خاصة للاقتباس عند طول النص: 86

4.الاقتباس غير المباشر: 87
المحور الثاني عشر: فهم أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر: من النظرية إلى التطبيق 91
1. تعريف أنظمة التوثيق الرقمية: 91
2. أنواع أنظمة التوثيق الرقمية: 92
3. مميزات أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر: 92
4. التحديات التي تواجه أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر:..... 93
6. دور الحكومة الجزائرية في دعم التحول الرقمي للتوثيق:..... 94
7. المستقبل المحتمل لأنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر: 94
الخاتمة..... 95
قائمة المراجع :..... 97

مقدمة

في عالم يتسم بتفجر معرفي غير مسبوق، وتنام مطّرد في حجم البيانات والمعلومات، لم يعد التعلم الجامعي مجرّد عملية تلقين للمحتوى، بل أصبح مدخلا لتكوين الباحث المفكر، القادر على الانتقاء، والتحليل، والبناء المنهجي للمعرفة، وانطلاقا من هذا التحول البنيوي في بنية التعليم العالي، يبرز مقياس البحث الوثائقي كأحد الركائز الأساسية في تكوين طالب العلوم الاجتماعية منذ السنة الجامعية الأولى، باعتباره حجر الأساس لكل بحث علمي جاد، وأداة مركزية لفهم الظواهر الاجتماعية وتفكيكها في ضوء معطيات علمية موثقة.

إن مقياس البحث الوثائقي لا يعنى فقط بكيفية الوصول إلى المعلومة، بل يتجاوز ذلك نحو تنمية الوعي النقدي لدى الطالب، وتمكينه من مهارات البحث المنهجي، بدءا من طرح الإشكاليات وصياغة الفرضيات، مرورا باختيار المصادر، وانتهاءا بتحليل الوثائق وتوظيفها في بناء معرفة علمية متماسكة، وهو بذلك يمثل مدخلا منهجيا ومعرفيا يؤهل الطالب لفهم أنماط التوثيق، أدوات التحليل، ومبادئ التقييم العلمي للمصادر.

ومن هذا المنطلق، تأتي هذه المطبوعة كإطار نظري وتطبيقي يرشد طلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية إلى المفاهيم الحديثة للبحث الوثائقي، ويعرّفهم بأهم مراحل الإنجاز البحثي، وأسس التوثيق الأكاديمي، وأنواع الوثائق، والمناهج المعتمدة في تحليلها، مع التركيز على البيئة الرقمية المعاصرة وما تتيحه من أدوات ذكية لاسترجاع وتنظيم المعلومات.

إن فهم البحث الوثائقي لا يكتمل دون وعي بطبيعته المركبة، فهو في جوهره أداة تفكيك وبناء، يقوم على التفاعل بين القارئ والوثيقة، بين النص والسياق، بين المعلومة الخام والمعرفة المصقولة، وهو ما يتطلب من الطالب أن يتحوّل من "مستهلك للمعلومة" إلى "منتج للمعنى"، ومن باحث مبتدئ إلى باحث يدرك خريطة المعرفة ويتقن أدوات التنقل داخلها.

إن هذه المطبوعة تسعى لأن تكون أكثر من مجرد مرجع، بل تجربة تعليمية تأسيسية تضع الطالب في قلب العملية البحثية، وتؤهّله لأن يطرح الأسئلة بجرأة، ويفكّر بمنهجية، وينتج معرفة علمية أصيلة، تمهّد له المسار نحو التخصّص والتعمّق في سنواته الجامعية القادمة.

- **تعريف بمقياس البحث الوثائقي:**
  - **اسم المقياس :البحث الوثائقي**
  - **طبيعة المقياس :محاضرة**
  - **مدة المحاضرة :ساعة ونصف**
  - **المستوى :السنة الأولى – جذع مشترك علوم اجتماعية**
  - **طبيعة المقرر :سنوي**
- **أهداف المقياس:**

- يرتكز مقياس البحث الوثائقي على تحقيق مجموعة من الأهداف التعليمية والمنهجية الأساسية، وهي:
- التعرف على ماهية ومفهوم البحث الوثائقي ودوره في البحث العلمي.
- الإلمام بأهم المفاهيم والمصطلحات الأساسية المستخدمة في البحث الوثائقي.
- اكتساب المعرفة بالطرق الأساسية المعتمدة في جمع وتحليل الوثائق والمصادر.
- التعرف على أسس تحليل العمليات التوثيقية وفهم بنيتها ووظائفها.
- التمرس على تقنيات استخراج المعلومات وتوثيقها باستخدام أدوات منهجية.
- إتقان مهارات التهميش العلمي بالاعتماد على المصادر والمراجع وفق الأنساق المعتمدة.
- فهم واستيعاب طرق الاقتباس العلمي واستخدام المعلومات في السياق البحثي بطريقة سليمة.

أما مجالات توظيف هذا المقياس، فتمتد لتشمل كل مناهج البحث في سنوات التخصص القادمة، كما يمثل أساسا لا غنى عنه في إعداد المذكرات، المشاريع البحثية، العروض، والدراسات الميدانية، وهو بذلك يعد بوصلة معرفية لكل طالب يسعى لبناء مشروعه الأكاديمي انطلاقا من الفهم العميق لأسس البحث العلمي.

- **أهمية البحث الوثائقي في ظل التحول الرقمي:**

في خضم التحولات الرقمية التي مست جميع مناحي الحياة، برزت الحاجة إلى إعادة تعريف طرق الوصول إلى المعرفة وتنظيمها، ولم يعد البحث الوثائقي مقصورا على رفوف المكتبات التقليدية أو الفهارس الورقية، بل أصبح يتفاعل مع بيئة معلوماتية متطورة تتيح تدفقا هائلا للبيانات عبر قواعد إلكترونية ومحتويات رقمية متجددة، وفي هذا السياق، يكتسب البحث الوثائقي أهمية استثنائية باعتباره المعبر الأساسي إلى الوعي المعلوماتي Information Literacy، حيث يمكّن الطالب من التمييز بين المصدر الموثوق والزائف، واختيار الأدبيات المناسبة، وتوظيفها في بناء مشروع علمي رصين.

كما أن البيئة الرقمية، رغم ما توفره من سرعة وتنوع، تفرض تحديات جديدة على الباحث، منها تعدد الصيغ، وتفاوت مصداقية المنصات، وكثرة المحتويات غير المحكمة، وهنا تتجلى أهمية إتقان البحث الوثائقي، ليس فقط كأداة لجمع المعلومات، بل كممارسة نقدية تعتمد على مهارات التقييم، والتحليل البنيوي، والتفكيك المعرفي للمحتوى، فالباحث المعاصر لم يعد فقط من يبحث عن المعلومة، بل من يعيد إنتاجها وتوطينها في سياق علمي وطني أو عالمي، وهو ما يجعل البحث الوثائقي ضرورة أكاديمية ومهارية في زمن الرقمنة.

المحور الأول: مفاهيم حول البحث الوثائقي

تمهيد

في ظل الطفرات الرقمية المتسارعة وتضخم المحتوى المعرفي، برز البحث الوثائقي كأداة معرفية استراتيجية تمكّن الباحث من التنقل المنهجي داخل بيئة المعلومات المركبة، فلم يعد البحث الوثائقي مجرد عملية تقليدية لجمع البيانات من المصادر المطبوعة، بل تطور ليصبح ممارسة بحثية تعتمد على التنقيب الذكي في قواعد البيانات، والتقييم النقدي للمصادر، وإعادة بناء المعرفة من خلال القراءة التحليلية متعددة الأبعاد.

ويعد هذا النمط من البحث حجر الأساس في العديد من البحوث النظرية والاستكشافية، حيث يوظّف لبلورة الإشكاليات البحثية، ودعم الإطار المفاهيمي، وتوجيه المسارات المنهجية لاحقا، إنّ فاعلية البحث الوثائقي اليوم تقترن بقدرة الباحث على التعامل مع البيئة المعلوماتية الرقمية، وتطبيق مهارات الفهرسة الموضوعية، والتحليل البنيوي للنصوص العلمية، في ضوء أخلاقيات البحث العلمي واعتبارات التحيز المعرفي.

لذا فإن فهم طبيعة البحث الوثائقي، وخصائصه، ومجالات توظيفه، يمثل خطوة أولى نحو إنتاج معرفة علمية موثوقة وراسخة، تؤسس لبحوث لاحقة أكثر عمقا واستبصارا.

1. مفهوم البحث الوثائقي: مدخل حديث

في خضمّ تسارع المعرفة الرقمية واتساع رقعة المصادر الأكاديمية، أصبح البحث الوثائقي أحد الركائز الجوهرية في دعم الإنتاج العلمي الرصين، ويعد هذا النوع من البحوث من أكثر الأشكال المنهجية شيوعا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، نظرا لاعتماده على تحليل المادة النظرية الموجودة سلفا، بدلا من إنتاج بيانات جديدة ميدانيا.

أ/تعريفات البحث الوثائقي:

يعرّف ديليز وبورغ (Deluze & Bourgue) البحث الوثائقي بأنه: "تحقيق علمي يعتمد على جمع المعلومات من مصادر مكتوبة أو رقمية، وتحليلها وتفسيرها، بهدف بناء معرفة أو دعم فرضيات علمية موجودة.(Deleuze & Bourgue, 2005) "

هذا التعريف يبرز التوجه التحليلي للمادة المعرفية المتاحة، ويبيّن دور الباحث في إعادة تركيب المعرفة بشكل نقدي وليس فقط نقلها.

أما محمد فوزي دراج، فقد أشار إلى أن البحث الوثائقي هو: "عملية فكرية منهجية تستند إلى تحليل وثائق ومصادر مكتوبة بهدف فهم ظاهرة معينة أو بناء تأطير نظري لموضوع البحث" (دراج، 2017)

يتميز هذا التعريف بإبرازه لدور البحث الوثائقي في بناء الإطار النظري، مما يجعله أساسيا في المراحل الأولى من تصميم البحث العلمي.

ويضيف جان بيار باسرون (Passeron) بعدا معرفيا في تعريفه للبحث الوثائقي: "هو سيرورة فكرية لإعادة تنظيم المعرفة الموجودة مسبقا، بإعادة قراءتها قراءة نقدية في ضوء تساؤلات بحثية معاصرة.(Passeron, 1991) "

هذا التعريف يعطي للباحث دورا نشطا في تأويل المعرفة، ما يربط البحث الوثائقي بالمدخل النقدي المعاصر بدل الدور التقليدي الذي يقتصر على التلخيص والنقل.

ب/التوثيق: المفهوم والتطور – قراءة تحليلية

يرجع أول استعمال لمصطلح "التوثيق" إلى سنة 1870، حيث ارتبط آنذاك بفكرة "البحث عن الوثائق لغرض إعداد دراسة أو مذكرة"، وقد ظل هذا الفهم المبدئي سائدا إلى غاية الثلاثينيات من القرن العشرين، حين بدأ المفهوم يتبلور تدريجيا ليأخذ دلالة أوسع وأعمق، تمثلت في "الاستغلال المنهجي للمعلومات(Chaumier, 1994) "، هذا التحول لم يكن

مجرد اتساع لغوي، بل عكس تطورا في إدراك وظيفة التوثيق ضمن المنظومة المعرفية والعلمية.

ومع تطور مجتمعات المعرفة، جاء تعريف الفيدرالية الدولية للتوثيق ليرسّخ هذا المعنى الموسّع، حيث اعتبرت أن التوثيق هو نشاط يتجلى في جمع المعلومات، وتنظيمها، وانتقائها، وبثها واستعمالها، بمختلف أشكالها ومصادرها. وهو بذلك لم يعد نشاطا إداريا تقنيا فحسب، بل أصبح علما وفنا يعنى بتنظيم المعرفة والتحكم في تدفقها، سواء أكانت علمية أو تقنية.(Humblet)

ويكتسب هذا التعريف أهمية خاصة في ضوء التحولات الرقمية التي جعلت من المعلومة سلعة استراتيجية، ومن إدارة المعرفة ضرورة وجودية للمؤسسات والأفراد على حدّ سواء.

وفي السياق ذاته، يقدّم الدكتور أحمد بدر تصورا أكثر تركيبا لمفهوم "المعلومة"، إذ يراها: "بيانا معقولا أو رأيا، أو حقيقة، أو مفهوما، أو فكرة، أو تجميعا مترابطا لهذه العناصر"، معتبرا أن المعلومة تمثل النواة الأولية للمعرفة. وهي حين تفهم، وتقارن، وتحلل، وتركّب، تتحول إلى معرفة تسهم في إثراء الوعي وتوسيع الإدراك.

ومن زاوية أكثر استراتيجية، يجمع عدد من الباحثين المعاصرين على أن الغاية المركزية للتوثيق تكمن في تقديم معلومات دقيقة، موثوقة، وفعّالة، عبر وسائط متعددة – مطبوعة، رقمية، سمعية–بصرية – بما يجعل من التوثيق أداة حيوية في دعم اتخاذ القرار، وصياغة السياسات، والتخطيط العلمي الرشيد.(Les métiers de la documentation, 1998)

وانطلاقا من هذه المقاربات، يتضح أن التوثيق لا يعدّ مجرّد عملية ميكانيكية تكميلية داخل المنهج العلمي، بل هو استجابة معرفية واعية لحاجة بحثية محددة، غالبا ما تتجسد في صيغة سؤال إشكالي أو فرضية مبدئية. إننا، كباحثين، حين نلجأ إلى البحث الوثائقي، فإننا ننخرط في فعل تأملي استقصائي يهدف إلى بناء خلفية نظرية متماسكة، وتدعيم قراءتنا التحليلية للواقع، بما يسهم في تعميق الطرح وإضفاء الطابع العلمي الرصين على الدراسة.

2.البحث الوثائقي: نحو مقاربة معرفية منهجية لفهم الظواهر الاجتماعية:

يعدّ البحث الوثائقي (Documentary Research)من أهم الأساليب المنهجية التي تستند إليها البحوث العلمية، خصوصا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ يعتمد هذا النمط من البحث على جمع وتحليل الوثائق والمصادر المكتوبة أو الرقمية المرتبطة بموضوع الدراسة، فالوثيقة ليست مجرد وسيلة إخبارية أو أرشيفية، بل تعدّ "بنية معرفية" تحتوي على شيفرات ثقافية وتاريخية واجتماعية، تحمل دلالات تتجاوز محتواها الظاهري (Bowen, 2009).

وفي سياق التطور المعرفي والتكنولوجي، بات البحث الوثائقي لا يقتصر على المصادر التقليدية (كالكتب، المجلات، التقارير)، بل اتسع ليشمل المصادر الرقمية مثل قواعد البيانات الإلكترونية، والمجلات العلمية المحكّمة على الإنترنت، ومحتوى الأرشيفات الرقمية، بل وحتى البيانات الضخمة (Big Data) عندما تتخذ شكلا وثائقيا .(Given, 2008) هذا ما يستدعي من الباحث المعاصر أن يكون متمكنا من أدوات القراءة والتحليل الكلاسيكية، بالإضافة إلى مهارات البحث الرقمي وتقنيات تحليل المحتوى الرقمي.

ويتميّز البحث الوثائقي بكونه لا يقتصر على "الوصف"، بل يتعداه إلى التحليل النقدي للمضامين بهدف تفسير الظواهر وفهم السياقات التي أنتجت الوثائق نفسها، فكل وثيقة هي نتاج سياق اجتماعي وسياسي وثقافي معين، مما يجعل من التحليل الوثائقي عملية مزدوجة: تحليل للمحتوى وتحليل للبنية والسياق.(Flick, 2014)

وفي ظل الرقمنة المتسارعة، أصبحت الوثائق جزءا من منظومة إنتاج المعرفة، وبالتالي فإن الباحث الوثائقي اليوم مطالب باعتماد نظرة نقدية تتجاوز المعطى السطحي نحو قراءة متعددة المستويات (نصية، رمزية، تاريخية)، ومن هنا تبرز أهمية ما يسميه البعض بـ "الذكاء الوثائقي"، أي القدرة على الربط بين الوثائق والمفاهيم النظرية وتحويل المادة الخام إلى معرفة معمقة تسهم في بلورة الفرضيات أو تفسير النتائج.(Mason, 2002)

كما يشكّل هذا النوع من البحوث أداة تعليمية وتربوية فعّالة، خاصة إذا ما تم إدماجه في المقررات الدراسية في المراحل الأولى من التعليم العالي، فإتقان مهارات البحث الوثائقي ينمّي لدى الطلبة ملكة التنظيم المعرفي، والبحث المنهجي، والقدرة على التمييز بين المصادر الأولية والثانوية، والموثوق منها وغير الموثوق، ويسهم في تعزيز الاستقلالية البحثية.(Booth, Colomb, & Williams, 2016)

وبصفتي باحثا مهتما بالمنهجيات النوعية، أرى أن البحث الوثائقي ليس فقط إجراء تقنيا، بل هو موقف علمي يتطلب وعيا نقديا بالتاريخ وبالسلطة الكامنة في إنتاج الوثيقة، كما يتطلب حسا تحليليا عاليا قادرا على إعادة تركيب الواقع من خلال شظايا نصوص قد تبدو أحيانا متباعدة ولكنها تحمل منطقا داخليا خفيا.(Denzin & Lincoln, 2018) .

وفي ضوء ما سبق، يمكن القول إن البحث الوثائقي في صيغته الحديثة يعدّ أكثر من مجرد جمع للمعلومات؛ إنه ممارسة معرفية تستدعي التمكّن من أدوات البحث التقليدية والرقمية، والانخراط في التفكير النقدي، وإنتاج معرفة متماسكة، من خلال استثمار المادة الوثائقية في ضوء الأسئلة الإشكالية التي يطرحها الباحث بوعي علمي وتوجّه تفسيري عميق.

3.المعلومات الوثائقية في البحوث العلمية: المناهج والأساليب المستخدمة في توظيفها وتحليلها:

تعد المعلومات الوثائقية ركيزة أساسية في أي بحث علمي، حيث تمثل مصدرا غنيا بالبيانات التي يعتمد عليها الباحث لبناء فرضياته واستخلاص النتائج، وتشكل هذه المعلومات جزءا أساسيا من الإطار النظري الذي يحدد ملامح البحث ويعزز مصداقيته، وفي هذا السياق، تستخدم المعلومات الوثائقية في مختلف المجالات البحثية، وتقسم إلى نوعين رئيسيين :المعلومات الأصلية والمعلومات الثانوية، ويعتمد الباحثون على مختلف المناهج والأساليب لتحليل هذه المعلومات واستخدامها في دراساتهم.

أ/المعلومات الوثائقية: أنواعها وأهمية كل منها في البحث العلمي:

- **المعلومات الأصلية(Primary Information)** : المعلومات الأصلية هي تلك التي يتم جمعها مباشرة من المصدر الأول، سواء كانت تجريبية أو ميدانية أو من خلال مصادر لم يتم نشرها سابقا، وتعد هذه المعلومات أكثر مصداقية وموثوقية في البحث العلمي، حيث توفر للباحث قاعدة بيانات صريحة يمكن تحليلها دون أي وساطة أو تفسير خارجي.

مثال: البيانات الميدانية التي يتم جمعها من خلال استبانات أو مقابلات مع عينات معينة، ومثال آخر: الوثائق الحكومية غير المنشورة مثل التقارير الإدارية أو القرارات الوزارية، وكذا الأبحاث أو الدراسات التي لم تنشر بعد في مجلات علمية.

على سبيل المثال، إذا كان الباحث في مجال التاريخ يرغب في دراسة تأثيرات السياسة الاستعمارية في الجزائر، فإن الوثائق الأصلية مثل التقارير الحكومية أو الرسائل والمراسلات الإدارية التي تحتوي على تعليمات وتعاملات السلطات الاستعمارية تعد مصدرا رئيسيا للمعلومات الأصلية (محمود، 2019).

- **المعلومات الثانوية(Secondary Information)** : المعلومات الثانوية هي تلك التي يتم جمعها من مصادر أخرى سبق للباحثين أو المؤسسات الأخرى أن قامت بتحليلها أو تلخيصها، وقد تكون هذه المعلومات عبارة عن تقارير منشورة، دراسات علمية سابقة، كتب، مقالات أكاديمية أو وثائق مؤرشفة.

مثال: الأبحاث السابقة التي تناولت نفس موضوع البحث، ومثال آخر: المقالات الصحفية أو الأدبيات المراجعة التي تحتوي على تفسيرات وتوضيحات، وكذا الكتب التي تشرح أو تناقش نتائج دراسات سابقة.

على سبيل المثال، إذا كان الباحث يقوم بدراسة حول التعليم في الجزائر، فإن المعلومات الثانوية مثل المقالات المنشورة عن الوضع التعليمي، أو الدراسات السابقة التي تناولت

مناهج التعليم وأثرها، تعتبر من المصادر الثانوية التي تساعد في تكوين رؤية تحليلية عن الموضوع.

ب/دور المعلومات الوثائقية في البحث العلمي:

1/ التوثيق في البحوث التاريخية: في مجال الدراسات التاريخية، تعد المعلومات الوثائقية المصدر الرئيس لدراسة وتحليل الأحداث والمواقف في الماضي، ويمكن للباحثين الاعتماد على الأرشيفات، المكتبات، والمتاحف لجمع الوثائق التي تكشف عن الأحداث التاريخية الهامة، مثل الحرب أو التغيرات الاجتماعية والسياسية، ويتطلب الأمر فحصا دقيقا للوثائق القديمة، حيث قد تكون بعض الوثائق قد أعيدت صياغتها أو تمت معالجتها لأغراض معينة.

مثال تطبيقي :إذا كان الباحث يتناول تأثير الثورات الجزائرية على الوضع الاجتماعي في فترة ما بعد الاستقلال، فإنه يمكنه الرجوع إلى الأرشيفات الفرنسية أو المكتبات الجزائرية التي تحتوي على مذكرات أو رسائل تتعلق بالمجتمع الجزائري أثناء وبعد الاستعمار الفرنسي، وهذا باستخدام هذه الوثائق، يمكن للباحث فحص الطرق التي يتم بها إعادة تفسير التاريخ وتأثيرات هذه التفاسير على المجتمع الجزائري.

2/توظيف الوثائق في البحوث الاجتماعية: تستخدم الوثائق في البحوث الاجتماعية لفهم الظواهر الاجتماعية والأنماط الثقافية، وعلى سبيل المثال، يمكن للباحث استخدام الوثائق الحكومية أو تقارير المؤسسات الاجتماعية لدراسة تطور قضايا مثل التعليم، الرعاية الاجتماعية، أو الإصلاحات الاجتماعية في المجتمع.

مثال تطبيقي :إذا كان الباحث يرغب في دراسة التطورات الاجتماعية في الجزائر بعد الاستقلال، يمكنه الرجوع إلى التقارير الحكومية أو البرامج الاجتماعية التي وضعتها

الحكومة في فترة الخمسينات والستينات، وهذا بتحليل هذه الوثائق يسمح للباحث بفهم كيف كانت السياسات الاجتماعية تتكيف مع التغيرات الاجتماعية والسياسية في الجزائر.

3/ تحليل الوثائق في الدراسات الثقافية: في البحوث الثقافية، يعد استخدام الوثائق مثل الأدب الشعبي، الفن، أو الموسيقى أداة حيوية لدراسة التغيرات الثقافية والاجتماعية، حيث يمكن للباحث تحليل النصوص الأدبية أو الفن الشعبي لفهم القيم الثقافية أو مواقف المجتمع تجاه قضايا معينة.

مثال تطبيقي :في دراسة حول الثقافة الجزائرية وتأثير الاستعمار، يمكن للباحث تحليل الأدب الجزائري الذي تم إنتاجه أثناء الاستعمار، مثل القصائد أو الروايات التي عكست موقف الشعب تجاه الاستعمار والتمرد، وهذا باستخدام الوثائق الأدبية، يمكن للباحث فهم التوترات الثقافية والاجتماعية التي نشأت في ذلك الوقت.

المحور الثاني: مناهج البحث الوثائقي: اختيار الأسلوب الأنسب لتحليل المعلومات:

تعتمد البحوث الوثائقية بشكل كبير على اختيار المنهج الأمثل لتحليل المعلومات التي يتم جمعها، وقد تكون هذه المناهج إحصائية أو تاريخية أو تحليلية، بناء على نوع المعلومات التي يتم تحليلها والأهداف البحثية.

1/ المنهج الإحصائي(Statistical Method) :

يعد المنهج الإحصائي من المناهج الرئيسية في الدراسات الوثائقية التي تتعامل مع البيانات الكمية، ويعتمد هذا المنهج على جمع البيانات الرقمية وتحليلها باستخدام الأساليب الإحصائية المتقدمة مثل التحليل التكراري، التحليل التوزيعي، والتحليل التباييني.

مثال تطبيقي :إذا كان الباحث يهتم بدراسة التغيرات الاقتصادية في الجزائر عبر عقدين من الزمن، فيمكنه استخدام البيانات الاقتصادية المنشورة في التقارير الحكومية مثل تقرير الميزانية العامة أو التعداد السكاني لتحليل التغيرات في الدخل القومي، مستوى الفقر، أو معدلات البطالة، وهذه البيانات يتم معالجتها باستخدام برامج التحليل الإحصائي مثل SPSS أو R.

2/ المنهج التاريخي(Historical Method) :

يستخدم المنهج التاريخي بشكل رئيسي في دراسة الوثائق ذات الطابع التاريخي، وهذا المنهج يعتمد على دراسة وتحليل الوثائق التي تحمل أهمية تاريخية كبيرة مثل المخطوطات، الرسائل، والتقارير الرسمية القديمة.

مثال تطبيقي :عند دراسة التحولات السياسية في الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي، يتعين على الباحث الرجوع إلى الأرشيفات الفرنسية التي تحتوي على تقارير الجنرالات

الفرنسيين أو المراسلات الدبلوماسية بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية في تلك الفترة، حيث يمكن للباحث تحليل هذه الوثائق لفهم طريقة تفكير المستعمر وأثرها على المجتمع الجزائري.

3/المنهج التحليلي(Analytical Method) :

يركز المنهج التحليلي على تحليل الوثائق من خلال تقسيم المعلومات إلى عناصرها الأساسية لدراسة العلاقات المتبادلة بينها، ويستخدم الباحثون هذا المنهج لفحص الوثائق بشكل أكثر تفصيلا لفهم المعاني المترتبة على تلك الوثائق.

مثال تطبيقي :عند دراسة تحليل السياسات التعليمية في الجزائر عبر الوثائق الحكومية التي تنظم المناهج الدراسية، يمكن للباحث تحليل الكلمات والمفاهيم المستخدمة في تلك الوثائق لفهم السياسات المتبعة في مرحلة معينة من الزمن، وهذا التحليل قد يتضمن تفكيك الاستراتيجيات التعليمية إلى عناصر قابلة للدراسة مثل أساليب التدريس أو طرق التقييم.

4. المنهج المقارن(Comparative Method) :

يعتبر المنهج المقارن أداة فعالة لدراسة الوثائق عندما يرغب الباحث في مقارنة معلومات من مصادر متعددة أو فترات زمنية مختلفة، ويهدف هذا المنهج إلى تحليل الفروقات والتشابهات بين مجموعات من الوثائق المتنوعة بهدف فهم تأثيرات أو نتائج مختلفة مرتبطة بالموضوع محل الدراسة.

مثال تطبيقي :إذا كان الباحث يدرس تطور الأنظمة القانونية في الجزائر منذ العهد الاستعماري حتى فترة ما بعد الاستقلال، يمكنه استخدام المنهج المقارن لمقارنة التشريعات التي كانت سارية في فترة الاستعمار مع التشريعات التي تم تبنيها بعد الاستقلال، ومن خلال مقارنة النصوص القانونية، يمكن للباحث تحديد التغييرات الجذرية أو استمرارية الأنماط في الأنظمة القانونية عبر الزمن.

5.المنهج الوصفي (Descriptive Method):

يستخدم المنهج الوصفي بشكل رئيسي لتوثيق وتحليل المعلومات الموجودة في الوثائق دون الحاجة إلى معالجتها إحصائيا أو تاريخيا، ويعتمد هذا المنهج على وصف المضمون الكامل للوثائق، مما يتيح للباحث تقديم تقرير شامل حول موضوع الدراسة، ويتم فيه التركيز على وصف الأحداث، الأشخاص، الأماكن، والمواقف الموثقة في المصدر.

مثال تطبيقي :إذا كان الباحث يعمل على دراسة السياسات التعليمية في الجزائر في سبعينيات القرن العشرين، فإنه قد يعتمد على الوثائق الخاصة بالتعليم التي صدرت من قبل وزارة التربية، ومن خلال المنهج الوصفي، يمكن للباحث جمع المعلومات المتعلقة بمناهج التعليم في تلك الفترة، مثل الكتب المدرسية والمناهج المعتمدة، ومن ثم وصف الوضع التعليمي بشكل مفصل وفقا للوثائق.

6. المنهج النقدي(Critical Method) :

ينطوي المنهج النقدي على تحليل نقدي للمحتوى الوثائقي مع التركيز على التحقق من مصداقيته وجودته، ويتضمن هذا المنهج التحقق من الموثوقية، المصداقية، والتحيز في المصادر الوثائقية، ويساعد هذا المنهج الباحث في تقييم ما إذا كانت الوثائق تقدم صورة دقيقة وموضوعية عن الحدث المدروس، أو إذا كانت متأثرة بتحيزات سياسية أو اجتماعية.

مثال تطبيقي :في دراسة تأثير الاستعمار الفرنسي على المجتمع الجزائري، يمكن للباحث استخدام المنهج النقدي لتحليل المراسلات أو التقارير التي أرسلت من قبل السلطات الاستعمارية، ومن خلال هذا المنهج، يستطيع الباحث الكشف عن التحيزات المحتملة أو المحاولات لتشويه الواقع الاجتماعي والسياسي في الجزائر أثناء الاحتلال.

7. المنهج الكمي (Quantitative Method):

إذا كان الباحث يتعامل مع مجموعات كبيرة من البيانات الوثائقية التي تحتوي على أرقام وإحصائيات، فيمكنه استخدام المنهج الكمي، ويعتمد هذا المنهج على تحليل الأرقام والبيانات الإحصائية التي قد تحتوي عليها الوثائق، مثل نتائج الاستطلاعات، التقارير الاقتصادية، أو حتى البيانات المسجلة في التقارير الرسمية الحكومية.

مثال تطبيقي :عند دراسة التغيرات في نسب البطالة في الجزائر خلال فترات معينة، قد يعتمد الباحث على تقارير حكومية سنوية أو بيانات صادرة عن الديوان الوطني للإحصائيات، وباستخدام المنهج الكمي، يمكن للباحث تحليل هذه الأرقام لمعرفة مدى تأثير السياسات الاقتصادية على سوق العمل.

إن توظيف المعلومات الوثائقية في البحث العلمي يعد حجر الزاوية لنجاح الدراسة العلمية، سواء كانت دراسة تاريخية، اجتماعية، أو اقتصادية، إن الجمع بين المعلومات الأصلية والمعلومات الثانوية واختيار المنهج الأنسب للتحليل يعد من المهارات الأساسية للباحث، كما أن القدرة على توظيف هذه المعلومات بشكل سليم يسهم في تعزيز مصداقية البحث العلمي، وبالتالي يوفر مساهمات حقيقية في مجاله.

المحور الثالث: البحث الوثائقي ومراحله: مقاربة منهجية في ظل التحول الرقمي

تمهيد:

يعد البحث الوثائقي أحد أهم المناهج المعرفية في ميدان البحث العلمي، ويتميّز بمرونته وقدرته على التكيف مع مختلف السياقات المعرفية والتكنولوجية، وفي حين أن جوهر هذا النوع من البحث ظل ثابتا من حيث الأهداف والمنهجية العامة، فإن الوسائط والبيئات التي يمارس فيها قد تطورت بشكل لافت، لا سيما مع الانتقال من البيئات التقليدية الورقية (المكتبات) إلى البيئات الرقمية والتفاعلية (قواعد البيانات الإلكترونية، مستودعات الوصول الحر، أدوات البحث الذكية)

من هذا المنطلق، يهدف هذا العنصر إلى تقديم عرض شامل لمفهوم البحث الوثائقي، ومراحل إنجازه، وأهم أنواعه، وآليات تنفيذه، مع التركيز على عوامل النجاح التي تؤثر في فعاليته سواء داخل بيئة المكتبات أو في البيئات الرقمية الحديثة، مع إبراز الأدوار الجديدة للباحث في ظل التحول الرقمي للمعرفة.

1. تعريف البحث الوثائقي – رؤية تحليلية

– **في اللغة:** يرتبط "البحث" في جذوره اللغوية بفعل التحري والسؤال والتقصي عن معلومة أو قضية معينة، أي محاولة الوصول إلى المعرفة عبر الاستقصاء والاكتشاف. وهذا ما يؤكده عبد الهادي (2000) في قوله: "البحث هو أن تسأل عن شيء بعينه وتفتش وتستخبر عنه"– وهي إشارة إلى البعد الاستكشافي الفطري للإنسان نحو المعرفة. (عبدالهداي ،2000)

يسلّط هذا التعريف الضوء على البعد الغريزي في البحث؛ فالبحث الوثائقي في جوهره نشاط معرفي يمارس بدافع الحاجة أو الفضول المعرفي.

– **في الاصطلاح الأكاديمي:** يعرف البحث الوثائقي بأنه "عملية علمية منظمة تهدف إلى جمع المعلومات وتقييمها واستخدامها لتكوين صورة معرفية حول موضوع محدد، وذلك بالاعتماد على مصادر أولية وثانوية متاحة عبر الوسائط الورقية أو الرقمية" (عميمور، 2012)، ويعد هذا النمط من البحث أداة رئيسية لتأسيس خلفية نظرية متينة لأي دراسة علمية، إذ يركز على تتبع الأدبيات، واستخلاص الاتجاهات الكبرى، والتمييز بين الأفكار والمفاهيم المتقاطعة.

يبرز هذا التعريف أهمية التنسيق المنهجي والصرامة العلمية، وهو ما يجعل من البحث الوثائقي مدخلا تأسيسيا في كل البحوث التي تتطلب قاعدة نظرية دقيقة.

– **في البيئة الرقمية:** يعرفه قاري (2016) بأنه: "البحث الذي يعتمد على قواعد المعلومات الإلكترونية، سواء قواعد البيانات المتخصصة مثل Medline أو قواعد العلوم الإنسانية، ويهدف إلى استخراج بيانات ووثائق تدعم مشروعا علميا" (قاري، 2016)

في ظل الرقمنة، لم يعد الباحث الوثائقي أسيرا للرفوف الورقية، بل أصبح يتعامل مع بيئة معرفية متجددة، تتطلب مهارات جديدة مثل البحث البولياني(Boolean search) ، والتمييز بين المصادر الموثوقة والمفتوحة.

يتقاطع البحث الوثائقي في كثير من الأحيان مع مصطلحات أخرى، مثل البحث عن البيانات (Recherche de données) والبحث عن المعلومات (Recherche d'information)، نظرا لكون هذه المفاهيم تندرج ضمن دلالة أكثر شمولا هي "تنقيب البيانات .(Data Mining) "ويوضح Rivier Aléxie أن البحث الوثائقي يرتبط أساسا بالمحتوى وعمق التحليل، إذ أن الإجابة عن الإشكالية المطروحة من طرف الباحث تقتضي قراءة الوثيقة ذاتها وليس مجرد الاكتفاء بالتسجيلات البيبليوغرافية، فالاكتفاء بذلك لا يعد بحثا وثائقيا حقيقيا، بل مجرد بحث عن البيانات، وعليه، فإن البحث الوثائقي هو سلسلة من الخطوات المنهجية التي يتبعها الباحث للوصول إلى المعلومات الناقصة، أو للإجابة عن

أسئلة كانت تراوده، مستعينا بكل المصادر المتاحة على اختلاف أشكالها، والوسائل والطرق التي تمكّنه من الاطلاع الأعمق على المعلومات، وتنقيحها، ومن ثم توظيفها واستثمارها إما لإثبات معلومة ما أو التحقق منها أو نفيها، بل وحتى لاكتشاف معارف جديدة (بن الشعيرة وسعيدي).

ويعد البحث الوثائقي مرحلة شديدة الحساسية، ينبغي أن تحظى باهتمام خاص من قبل الفاعلين في مجال التربية، بدءا من السنوات الأولى لتطبيق البرامج التعليمية، فإتقان مهارات البحث الوثائقي يمكن الطالب من فهم القواعد المنظمة للمكتبة، ما يتيح له الحصول على الوثائق التي يحتاجها بسرعة وبأقل جهد ممكن، كما يعزز قدرته على ترجمة موضوعه إلى أسلوب تقني دقيق، واستعمال مختلف أنواع الفهارس المتوفرة، سواء كانت مطبوعة أو إلكترونية، وقراءة بطاقات الفهرسة على الشاشة أو الورق. إن هذا الإلمام بالقواعد يمكن المتعلم من تنفيذ البحث الوثائقي بشكل مستقل، والوصول إلى المعلومات المطلوبة بدقة وكفاءة.

2. البحث الوثائقي المحسوب:

يعرّف البحث الوثائقي المحسوب، وفقا لما أورده عدد من المؤلفين، بأنه: "مجموعة من العمليات والأساليب المتبعة بغرض إيجاد معلومات تجيب عن تساؤلات محددة، باستخدام نظام برمجي يعمل على حاسوب آلي" (بن الشعيرة وسعيدي،).

كما يعرّف في موضع آخر بأنه: "مجموع الأساليب والتقنيات المعتمدة لإنجاز عملية البحث عن معلومات وثائقية في مختلف قواعد البيانات الالكترونية، وذلك بالاستعانة ببرامج استرجاع المعلومات، حيث يتم تحديد موضوع البحث والكلمات المفتاحية الرئيسية، للوصول إلى مصادر تحتوي على المعلومة المطلوبة، وإمكانية حفظها، أو طباعتها، أو معالجتها بغرض الاستفادة منها في سياق البحث."

وهذا النمط من البحث يمكّن الباحث من الوصول إلى كمّ هائل من المعلومات في وقت وجيز، مما يعزز من فعالية البحث العلمي، بشرط إتقان مهارات البحث المعلوماتي واستخدام الفهارس الرقمية والأدوات الإلكترونية المساعدة، كما يشترط في الباحث المحترف في مجال البحث الوثائقي المحسّب أن يكون على دراية بأنظمة الاسترجاع الآلي للمعلومات، ومفاتيح البحث البوليانية (AND – OR – NOT) وكيفية إدخال الاستعلامات البحثية بشكل فعّال.

وفي هذا الإطار، يؤكد بن الشعيرة وسعيدي على ضرورة دمج المهارات الرقمية في تكوين الطلبة والباحثين منذ المراحل الأولى من التعليم العالي، لما لها من أثر مباشر على جودة البحوث وسرعة إنجازها، وعلى توسيع دائرة الاطلاع العلمي والمعرفي للباحث، وتمكينه من المساهمة في تطوير المعرفة الأكاديمية على أسس رصينة وموثقة.

جدول: مقارنة بين البحث الوثائقي التقليدي والبحث الوثائقي المحسّب

البحث الوثائقي التقليدي	البحث الوثائقي المحسّب (الرقمي)	أوجه التقاطع	مثال توضيحي	البحث الوثائقي التقليدي
الكتب، الفهارس الورقية، الأرشيفات	قواعد البيانات، محركات البحث الأكاديمية، المستودعات الرقمية	كلاهما يعتمد على فهرسة مصادر المعلومات	البحث عن كتاب في مكتبة جامعية تقليدية البحث عنه في vs Google Scholar	الكتب، الفهارس الورقية، الأرشيفات
التصفّح اليدوي، الملاحظة، التوثيق الورقي	الاستعلام عبر واجهات إلكترونية باستخدام كلمات مفتاحية	الحاجة إلى صياغة دقيقة لموضوع البحث والكلمات	استخدام الكلمة "القيادة" للوصول إلى مصادر في فهارس المكتبة أو بوابة	التصفّح اليدوي، الملاحظة، التوثيق الورقي

		المفتاحية	إلكترونية	
كتب، مقالات دوريات مطبوعة، تقارير حكومية	مقالات إلكترونية، رسائل جامعية رقمية، كتب إلكترونية	كلاهما يعتمد على مصادر موثوقة ومتخصصة	استخدام رسالة ماجستير حول "المجتمع المدني" مطبوعة أو رقمية	كتب، مقالات دوريات مطبوعة، تقارير حكومية
بطيئة نسبيا بسبب محدودية البحث اليدوي	سريعة وتتيح الوصول الفوري للمعلومة	كلاهما يتطلب مهارات في تنظيم الوقت والتخطيط للبحث	الوصول لمعلومة خلال ساعات في المكتبة أو في ثوان عبر بوابة رقمية	بطيئة نسبيا بسبب محدودية البحث اليدوي
النسخ اليدوي، التصوير، التدوين الورقي	التنزيل، النسخ الرقمي، الحفظ السحابي	كلاهما يهدف إلى الاحتفاظ بالمعلومة وتحليلها لاحقا	طباعة مقالة من مجلة من PDF أو تحميلها قاعدة بيانات	النسخ اليدوي، التصوير، التدوين الورقي
أسلوب يدوي باستخدام الأنماط التقليدية للتوثيق (APA/MLA/ Chicago)	برامج إدارة المراجع (Zotero ، Mendeley ، EndNote)	ضرورة توثيق كل مصدر وفق قواعد أكاديمية	توثيق مرجع في الهوامش سواء ورقيا أو آليا	أسلوب يدوي باستخدام الأنماط التقليدية للتوثيق (APA/MLA/Chicago)

3. البحث الوثائقي عبر الإنترنت:

يعد البحث الوثائقي عبر الإنترنت عملية متميزة تختلف في طبيعتها عن البحث التقليدي في البيئة الورقية، ففي حين يتطلب البحث التقليدي جهدا يدويا كبيرا من الباحث في تفتيش المصادر وأدلة المعلومات داخل المكتبات، فإن البحث الوثائقي عبر الشبكات الرقمية –

وعلى رأسها شبكة الإنترنت – يوفر فرصا أوسع للوصول إلى معلومات موسوعية وشاملة بسهولة وسرعة.

فرغم أن الباحث في المكتبة يسعى إلى جمع أكبر قدر ممكن من الوثائق ذات الصلة بإشكالية بحثه، إلا أن البحث عبر الإنترنت يتسم ببساطة أكبر بفضل استخدام أدوات وتقنيات بحث إلكترونية تتيح له الوصول إلى الوثائق المطلوبة بكفاءة، مع استهلاك أقل للوقت والجهد، من خلال اعتماد منهجيات محددة، مثل استخدام محركات البحث، وقواعد البيانات، والأدلة، والبوابات الإلكترونية.

ويعرّف البحث الوثائقي عبر الإنترنت بأنه "مجموعة من الإجراءات والعمليات المنهجية التي تهدف إلى إيجاد وثائق تجيب عن تساؤلات بحثية معينة، من خلال استغلال إمكانات شبكات المعلومات والإنترنت".

كما ينظر إليه باعتباره عملية بحث عن المعلومات والوثائق داخل الإنترنت، تتطلب استخدام أدوات بحث مثل محركات البحث، حيث تضاهى الاستفسارات مع ما هو متاح من محتوى رقمي، ويتم تزويد الباحث بنتائج دقيقة، ويتطلب هذا النوع من البحث أن يكون الباحث مدركا لما يبحث عنه، وأن يصوغ استفساره بشكل منهجي وواع (لحواطي، 2010).

ويأخذ البحث الوثائقي عبر الإنترنت عدة مفاهيم متقاربة، إلا أنها تتلاقى جميعا في كونها تعتمد على إمكانيات الحاسوب ووسائط الاتصال والبنية الشبكية للبحث عن الوثائق المطلوبة، باستخدام تقنيات متعددة تشمل أنظمة المعلومات المحوسبة، وتقنيات البرمجيات، ونظم الاتصال، وتقنيات بناء الشبكات (النقيب).

المحور الرابع: مراحل البحث الوثائقي:

المرحلة الأولى: تحديد أهداف البحث:

تعد هذه المرحلة بمثابة حجر الأساس لأي بحث علمي جاد، إذ ينطلق فيها الباحث من طرح التساؤلات الأولية حول موضوع بحثه، وهي تساؤلات تمهيدية تساعده على تشكيل الإطار العام للمشكلة البحثية. على سبيل المثال، إذا كان موضوع البحث يتعلق بـ"دور الذكاء الاصطناعي في التعليم الجامعي"، فقد يتساءل الباحث: ما مدى استعداد الأساتذة لتوظيف هذه التقنيات؟ ما هي التحديات التي تواجههم؟ وما الآثار المتوقعة على جودة التعليم؟

بعد ذلك، يقوم الباحث بتحديد معارفه السابقة حول الموضوع، ويشرع في مراجعة المصادر الأولية مثل القواميس والموسوعات والمقالات التعريفية لتكوين تصور أولي عن المفاهيم الأساسية، وهنا تبرز أهمية مرحلة ما قبل البحث(Pre-Research) ، إذ تساعد في استجلاء الفجوات المعرفية، وتمييز ما يعرفه الباحث بالفعل، وما ينبغي عليه البحث عنه لاحقا.

كما تشمل هذه المرحلة تقدير الظروف المحيطة بالعملية البحثية من حيث الوقت المتاح لإنجازها، والحيز المكاني الذي سيتم فيه العمل (كالبيت، أو المكتبة، أو المعمل)، بالإضافة إلى الموارد المادية والبشرية المتوفرة، كالحواسيب أو الاتصال بالإنترنت أو التوجيه من مشرف أكاديمي. وفي ضوء هذه المعطيات، يمكن للباحث رسم تصور مبدئي لكيفية تقديم البحث، وصياغة أهداف واضحة ومحددة بدقة، تشكّل مرجعية يبني عليها لاحقا مسار بحثه.

المرحلة الثانية: معرفة مصادر المعلومات:

المعرفة الحقيقية لا تقتصر على جمع المعلومات، بل تبدأ من معرفة "أين نجد هذه المعلومات؟"، وكما يقول الباحث" :S. Taurino نصف المعرفة هو أن تعرف أين تجد المعرفة ."من هذا المنطلق، فإن الباحث الجيد هو من يدرك تنوّع وتعدّد مصادر المعلومات، ويستطيع الانتقال بينها بمرونة وذكاء.

في هذه المرحلة، ينبغي على الباحث أن يكون مطّلعا على أنواع المؤسسات التوثيقية المتاحة، مثل المكتبات المدرسية، والمكتبات العامة، ومراكز التوثيق المتخصصة، وأنظمة المعلومات الإلكترونية، كما عليه الاستفادة من الوسائط المتعددة، مثل الأقراص المدمجة، والكتب الرقمية، والمجلات الإلكترونية، بالإضافة إلى قواعد البيانات العلمية مثلJSTOR ، Scopus، و.Google Scholar

فعلى سبيل المثال، إذا كان الباحث يبحث في موضوع يخص "تاريخ الإدارة العثمانية في الجزائر"، فقد يبدأ بمراجعة الكتب التاريخية المتخصصة في المكتبة الوطنية، ثم ينتقل إلى الوثائق المحفوظة في الأرشيف الوطني، ويكمل بحثه عبر الإنترنت من خلال بوابات الجامعات أو المنتديات الأكاديمية التي تنشر أبحاثا محكمة في هذا المجال.

المفتاح في هذه المرحلة هو أن يطوّر الباحث قدرته على اختيار المصادر الملائمة لموضوعه، والتمييز بين المصادر الأولية والثانوية، والبحث عن المعلومة التي تجيب بدقة عن الأسئلة البحثية المطروحة.

المرحلة الثالثة: إيجاد الوثيقة أو الوثائق المناسبة:

بعد تحديد مصادر المعلومات، يأتي دور البحث الفعلي داخل هذه المصادر، وهنا تظهر أهمية قدرة الباحث على "ترجمة" موضوعه إلى كلمات مفتاحية دقيقة ومناسبة، تساعده على الوصول إلى الوثائق ذات الصلة. فمثلا، عند البحث عن موضوع "الحوكمة في المؤسسات

التعليمية"، يجب استخدام كلمات مثل"Governance" :، "Educational Administration"، "Accountability"، وهكذا.

يتطلب الأمر كذلك معرفة نظم التصنيف والفهرسة المعتمدة في المكتبات أو قواعد البيانات، فمثلا، تصنّف الكتب في المكتبات باستخدام نظام ديوي العشري، أو نظام مكتبة الكونغرس، مما يستدعي فهما لطريقة ترميز الكتب وتوزيعها حسب التخصص.

ينبغي كذلك تدريب الطلاب والباحثين المبتدئين على كيفية استخدام الفهارس المطبوعة والآلية، وكيفية الانتقال من رقم التصنيف إلى الرف المناسب، كما يمكن تقديم ورشات تدريبية لتعريفهم بأقسام المكتبة، وأساليب البحث داخلها، وأهمية الوثائق المختلفة (كتب، مقالات، أطروحات، تقارير، إلخ).

وفي هذا السياق، فإن تعليم الطالب أو الباحث طريقة التعامل مع محركات البحث الأكاديمية (مثلEBSCOhost ، ProQuest، ScienceDirect)يعد أمرا أساسيا لتسريع وتيرة البحث وتمكينه من الوصول إلى معلومات دقيقة ومحدثة.

- تحليل الوثيقة وانتقاء المعلومات:

في هذه المرحلة الدقيقة من مسار البحث، يبدأ المتعلم أو الباحث في استثمار الوثيقة من خلال القراءة التحليلية التي لا تكتفي بالاطلاع السطحي، بل تتعمق في المضامين والمفاهيم والرموز والدلالات، وتعد هذه القراءة بمثابة عملية تفكيك وإعادة تركيب لما تتضمنه الوثيقة من معلومات ومعارف.

ولتحقيق ذلك، ينبغي للباحث أن يستعين بعدد من المصادر المرجعية المتنوعة، سواء كانت ورقية أو رقمية، وذلك لتدعيم فهمه وتوسيع أفق تحليله. فعلى سبيل المثال، يمكنه الرجوع إلى:

- الموسوعات مثل موسوعة "بريتانيكا" أو "لاروس" التي تقدم تعريفات موسعة وشاملة.
- المعاجم المتخصصة، كمعجم المصطلحات السياسية أو التربوية، لفهم الدلالات الدقيقة للمفاهيم.
- الأدلة والإحصاءات مثل دليل التنمية البشرية أو تقارير منظمة اليونسكو.
- الببليوغرافيات التي توجهه إلى مصادر إضافية حول موضوع البحث.
- الأطالس والخرائط لفهم الأبعاد الجغرافية والحدودية للظواهر.
- المصغرات والوسائط السمعية البصرية، كالأفلام الوثائقية والتسجيلات الصوتية، التي تتيح مدخلا حسيا للمعلومة.
- المصادر الإلكترونية كالمواقع الأكاديمية الموثوقة (مثلGoogle Scholar ، JSTOR، أو بوابات الجامعات) أو الأقراص المضغوطة التي تحتوي على محتوى علمي أو وثائقي.

ومن الأمثلة على انتقاء المعلومة أن يعود المتعلم إلى خريطة تاريخية لفهم تحركات السكان في منطقة معينة، أو إلى جدول إحصائي لفهم تطور نسب الأمية، أو إلى رسم بياني يوضح العلاقة بين معدل البطالة والنمو الاقتصادي، أو حتى إلى صورة فوتوغرافية قديمة توثق لحدث اجتماعي.

وبذلك، يصبح المتعلم أمام عملية ذهنية مركبة تتطلب:

- القدرة على جمع المعلومات من مصادر متنوعة.
- تنظيمها بطريقة منهجية حسب محاور البحث.
- تحليلها بذكاء ووعي، وربطها بالسياق العام للمشكلة البحثية.

- اختصارها وتلخيصها بما يخدم إنتاج عمل أصيل وشخصي يستجيب لمتطلبات المشروع البحثي.

ومن المهم أن يكيّف المتعلم المعلومات حسب حاجاته البحثية، إذ يمتلك هو القرار في تحديد ما إذا كانت هذه المعلومة مفيدة وضرورية أم لا، بناء على أهداف بحثه، تماما كما يفعل المهندس حين ينتقي الأدوات الأنسب لبناء تصميم معين، أو الطبيب حين يختار الأدوية التي تناسب حالة مريضه دون غيرها.

يقول "لي كوادك" :(LE COADIC, Y. F., 2002) "إن اختيار المعلومات واستخدامها هو فن عقلاني يتطلب حسن التقدير".

- تقديم البحث:

عند الوصول إلى هذه المرحلة، يكون المتعلم قد أتمّ مهمته التحليلية وأصبح مستعدا لتقديم خلاصة عمله البحثي، وهنا يطلب منه اختيار شكل التقديم المناسب بناء على هدف البحث أولا، والجمهور المستهدف ثانيا، وذلك بالتنسيق مع المعلم أو المشرف الأكاديمي أو المكتبي.

فمثلا، إذا كان جمهور العرض من المتخصصين، فقد يفضل تقديم العمل في شكل تقرير مكتوب مدعّم بالرسوم البيانية والملاحق، أما إذا كان الجمهور من زملاء الفصل أو المهتمين غير المتخصصين، فيكون العرض الشفوي مع الاستعانة بوسائط مرئية (عرض بوربوينت مثلا) أكثر ملاءمة.

كما يمكن أن يتخذ العرض شكل ملف بحثي ورقي أو إلكتروني، يتضمن العناصر الأساسية للبحث: مقدمة، إشكالية، أهداف، منهجية، عرض وتحليل، خاتمة، وتوصيات.

- التقييم:

التقييم لا يعني فقط إصدار حكم نهائي على جودة العمل، بل هو عملية تغذية راجعة مستمرة، حيث يبدأ فيها المتعلم، بالتعاون مع المعلم، بتفحص كل مرحلة من مراحل الإنجاز، انطلاقا من تحديد الإشكالية، مرورا بجمع المعلومات، ثم تحليلها، وانتهاءا بعرض النتائج.

وتعد هذه العملية فرصة حقيقية للتأمل في النقاط الإيجابية التي ساهمت في إنجاح البحث، وكذلك رصد النقائص التي طرأت، سواء في المحتوى أو المنهج أو العرض، ومن هنا، يكون التقييم وسيلة لتحسين الأداء المستقبلي، وتفادي تكرار الأخطاء.

فمثلا، إذا لاحظ المتعلم أنه لم يوثق مصادره بشكل جيد، فسيحرص في بحوثه المقبلة على تطبيق قواعد التوثيق بدقة، أو إذا تبيّن له أن تحليله للبيانات كان سطحيا، فسيعمل على تعميق أدواته التحليلية في المستقبل.

إن التقييم يشكّل حلقة وصل بين الإنجاز والتحسين، ويكسب المتعلم خبرة ثمينة في تطوير تفكيره النقدي وأدائه المنهجي، ليصبح أكثر استعدادا للتعامل مع المشاريع البحثية المعقدة في مراحل لاحقة من مساره العلمي.

أهمية التوثيق في البحث العلمي:

يعدّ التوثيق العلمي من المبادئ الجوهرية في منهجية البحث الأكاديمي، حيث يجسّد الالتزام بمبدأ الأمانة العلمية، ويعبّر عن احترام جهود الباحثين والعلماء السابقين، من خلال الإشارة المنهجية الدقيقة إلى كافة المصادر والمراجع التي تم توظيفها في صياغة العمل العلمي (الخوري، 2020). كما أن عملية التوثيق تمكّن القارئ من تتبّع الأفكار والرجوع إلى الأصول المعرفية بسهولة، وهو ما يعزّز من قيمة البحث وموثوقيته، وتتم عملية التوثيق بطريقتين متكاملتين: الأولى داخل المتن، حيث يشار إلى المرجع بعد المعلومة مباشرة، والثانية في قائمة المراجع النهائية التي تتضمن بيانات كاملة عن كل مصدر مستخدم (عبد الرحيم، 2022). ويمكن تلخيص أهمية التوثيق في النقاط التالية:

- **تأكيد الأمانة العلمية** :إذ يعتمد على مصادر معرفية واضحة مبنية على إنتاج علمي موثق.
- **الحد من السرقة الأدبية** :من خلال نسبة المعلومات إلى أصحابها الأصليين، وبالتالي تجنب الانتحال العلمي.(Harris, 2017)
- **بيان حداثة المعرفة** :عبر توضيح تاريخ النشر، مما يتيح للباحثين تمييز المصادر الحديثة من القديمة.
- **إتاحة التحقق والمتابعة** :حيث يتمكّن القارئ من الرجوع إلى المصدر لفهم أعمق أو للاستشهاد به لاحقا.
- **رفع مصداقية البحث** :لأن التوثيق يعكس اعتماد الباحث على مصادر علمية موثوقة، مما يدعم قوة الطرح العلمي.(Creswell, 2018)

ومن هذا المنطلق، لا يعدّ التوثيق إجراء شكليا، بل هو ممارسة علمية وأخلاقية تعزّز جودة البحث وتنظم العلاقة بين الباحث والمعرفة.

المحور الخامس: هندسة المعرفة في البحث العلمي – من البيانات الخام إلى المعلومات المعالجة

من أين يبدأ الباحث؟

إنّ من أبرز مراحل البحث العلمي وأكثرها حساسية وتأثيرا على جودة النتائج، هي مرحلة جمع البيانات والمعلومات، ولا تعد هذه الخطوة مجرد عملية تقنية لجمع معطيات، بل تمثل الأساس المعرفي الذي يبنى عليه التحليل والاستنتاج، فالمعلومة في البحث العلمي تشبه اللبنة الأولى في بناء هرمي، إن كانت ضعيفة، تهاوى الهيكل بأكمله.

فالباحث الجاد لا يبدأ بكتابة النتائج أو التحليل قبل أن يغوص في بحر البيانات والمصادر، ليصنّفها، ويفككها، ويعيد تشكيلها لتصبح معرفة قابلة للاختبار أو التفسير.

أولا: مفاهيم تأسيسية: الفرق بين البيانات والمعلومات:

يجب على الباحث أن يفرّق بين البيانات (Data) ، والمعلومات(Information) ، فهما مرحلتان مختلفتان في سلسلة إنتاج المعرفة:

التعريف	مثال تطبيقي
معطيات خام لم تخضع للتحليل أو التفسير، كالأرقام أو الإجابات المفتوحة.	نتائج استبيان يضم إجابات الطلاب حول صعوبات التعلم الرقمي.
نتاج تحليل البيانات وتنظيمها في صورة مفهومة.	نسبة 62% من الطلاب يعانون من ضعف الاتصال بالإنترنت كسبب رئيسي في صعوبات التعليم الرقمي.

- **<u>توضيح إضافي:</u>**

يمكن تشبيه البيانات بالحجارة، والمعلومات بالبناء، فالحجارة دون تنظيم ليست ذات فائدة تذكر، بينما البناء المشيد يعبّر عن فكر وهندسة وفائدة (قنديلجي، 2014).

ب. أهمية المعلومات في دعم مسار البحث العلمي: أهمية المعلومات لا تنبع من كثرتها، بل من دقتها وارتباطها الوثيق بمشكلة البحث. ويمكن تلخيص دورها المحوري فيما يلي:

- **توجيه مسار البحث:** المعلومة الدقيقة تساعد الباحث على صياغة سؤال بحث ذكي، وتحديد الفرضيات القابلة للاختبار، وعلى سبيل المثال: إذا أظهرت تقارير رسمية ضعف التفاعل مع التعليم الإلكتروني، فإن الباحث قد يصوغ فرضية ترتكز على "تأثير مستوى الثقافة الرقمية على نجاح منصات التعليم عن بعد."
- **تعزيز المصداقية:** كل معلومة موثقة تدعم الطرح العلمي، وتكسب الباحث شرعية أكاديمية وتجنّبه الانطباعية أو التعميم.
- **تسهيل المقارنة والتحليل:** عند توفر المعلومات الدقيقة، يمكن بناء مقارنات منطقية بين متغيرات البحث، مما يثري التحليل.
- **دعم اتخاذ القرار:** نتائج البحث القائمة على معلومات قوية تمكّن المؤسسات من اتخاذ قرارات رشيدة قائمة على أدلة واقعية.

ج. مصادر المعلومات: أدوات الباحث نحو العمق: تتنوع مصادر جمع البيانات بحسب نوع البحث، وغالبا ما تصنّف إلى مصدرين رئيسيين:

- **المصادر الأولية(Primary Sources)** : وهي تلك التي يجمعها الباحث مباشرة من الميدان أو عبر أدوات البحث:
- **المقابلات** :كإجراء مقابلة مع مسؤول إداري لفهم أسباب ضعف الأداء الوظيفي.
- **الاستبيانات** :كاستطلاع رأي الطلبة حول فعالية بيئة التعلم الافتراضي.
- **الملاحظة المباشرة** :كمتابعة سلوك الموظفين داخل مكتبة عمومية.

مثال: في دراسة حول القيادة الرقمية، قد يستخدم الباحث مقابلات مع قادة إداريين لفهم تجربتهم مع التحوّل الرقمي.

ثانيا: المصادر الثانوية(Secondary Sources) :

وتشمل المعلومات التي سبق جمعها وتوثيقها:

- الكتب والمراجع الأكاديمية
- المقالات المحكمة
- الأطروحات الجامعية
- قواعد البيانات الإلكترونية (مثلSpringer :، Scopus، ERIC)

- **نصيحة بحثية:** يفضّل استخدام المراجع التي لا يتجاوز تاريخها 5 سنوات، لضمان حداثة المعلومة.

1/ التحديات المرتبطة بجمع المعلومات: لا يخلو طريق الباحث من عقبات معرفية، ومن أبرز التحديات:

التحدي	التفسير	اقتراح عملي
ندرة المصادر	خاصة في المواضيع الجديدة أو الحساسة	التوسع في البحث الميداني أو استشارة خبراء
تضارب البيانات	نتيجة تباين الرؤى أو المراجع	مقارنة المصادر وتحليل السياق
ضعف الوصول الإلكتروني	خاصة في الجامعات العربية	الاعتماد على شبكات المكتبات الأكاديمية الدولية

صعوبة تقييم المصداقية	بسبب تزايد المحتوى غير العلمي	اعتماد أدوات تقييم المصادر مثل CRAAP Test

2/ أدوات الباحث الذكية في تنظيم المعلومات: لا يكفي جمع المعلومات، بل يجب إدارتها وتنظيمها، ومن الأدوات المقترحة:

أ- Zotero وMendeley: لإدارة المراجع والاستشهادات.

ب- NVivo : لتحليل البيانات النوعية (مثل المقابلات.

ج- SPSS : لتحليل البيانات الكمية الإحصائية.

الباحث الناجح مهندس بيانات قبل أن يكون محلل نتائج، وتشكّل عملية جمع المعلومات العمود الفقري للبحث العلمي، إنها ليست مرحلة تقنية، بل عملية معرفية تتطلب حسا نقديا، ووعيا بالهدف، ومهارة في الربط بين المعطيات، فكل معلومة موثقة تقرب الباحث أكثر من الحقيقة، وتجعل بحثه أكثر صدقا، وقيمته العلمية أكثر رسوخا.

المحور السادس: أنواع الأوعية المعلوماتية

تمثل أوعية المعلومات الركائز الأساسية التي يستند إليها الباحث في جمع البيانات اللازمة لفهم الظواهر وتحليلها، ويمكن تصنيف هذه الأوعية إلى عدة أنواع، تختلف من حيث طبيعتها وشكلها ومصدرها وزمنها، كما يلي:

1/ المصادر المكتوبة والمصادر غير المكتوبة:

أ- **المصادر المكتوبة** :وهي تشمل كافة الوثائق التي تم تدوينها أو تسجيلها بصيغة مكتوبة أو مرمّزة، وتعدّ من أكثر المصادر استخداما في البحوث الأكاديمية، **ومن أمثلتها:** السجلات الرسمية، الوثائق الحكومية، المراسلات الإدارية، الرسائل الشخصية، المذكرات، التقارير، والخرائط، وتستخدم هذه المصادر عادة في البحوث التاريخية أو الدراسات الاجتماعية التي تتطلب تتبع الأحداث أو تحليل المضامين النصية (الدالكي، 2009)

ب- **المصادر غير المكتوبة** :وتتمثل في كافة أشكال البيانات غير النصية مثل الشهادات الشفوية، المقابلات المسجلة، الإشارات والرموز، والتسجيلات السمعية أو المرئية، وهي مصادر مهمة خاصة في البحوث الميدانية أو الإثنوغرافية، حيث يصعب توثيق الخبرات والتجارب البشرية في وثائق مكتوبة.

مثال توضيحي: في دراسة حول الثقافة الشفوية لدى إحدى القبائل، يمكن للباحث الاعتماد على روايات الشيوخ أو تسجيل الأغاني الشعبية كمصدر غير مكتوب.

2/ المصادر المادية وغير المادية:

أ- **المصادر المادية** :تشير إلى الأشياء الملموسة المرتبطة بالظاهرة محل الدراسة، وتستخدم بكثرة في العلوم الطبيعية والآثارية. على سبيل المثال، العظام، القطع الأثرية، الأجهزة، الأدوات الصناعية، أو البنية التحتية الميدانية (كالمباني، الجسور، الآلات).

ب- **المصادر غير المادية** :تشمل الأفكار، والمعلومات، والبيانات المخزّنة في ذاكرة الأفراد أو في قواعد بيانات إلكترونية. وتستخدم بشكل كبير في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يكون الاعتماد على الخبرة البشرية والتجارب أكثر من المادة المحسوسة.

3/ المصادر الزمنية: السابقة، الحالية، المستقبلية:

أ- **المصادر السابقة** :هي الوثائق أو البيانات التي توثق وقائع وأحداث مضت، مثل الإحصاءات القديمة، سجلات التجارة، أو نتائج انتخابات سابقة، وتعد هذه المصادر مرجعا مهما لفهم تطور الظاهرة عبر الزمن (الصاوي، 1992)

ب- **المصادر الحالية** :توثق الواقع الراهن للظاهرة مثل التقارير السنوية، استطلاعات الرأي الجارية، أو قواعد البيانات المحدثة.

ج-**المصادر المستقبلية** :تبنى على التنبؤات والاستشراف باستخدام نماذج علمية، مثل دراسات الاتجاهات المستقبلية أو الخطط الاستراتيجية طويلة المدى.

مثال توضيحي :دراسة استشرافية حول التحول الرقمي في الجامعات الجزائرية تعتمد على البيانات الحالية والماضية لتوقع ملامح النظام الجامعي بعد 10 سنوات.

4/ المصادر الرسمية والمصادر الشخصية:

أ- **المصادر الرسمية** :تصدر من جهات موثوقة كالوزارات، الهيئات الرسمية، المؤسسات الحكومية، وتشمل التقارير الرسمية، الإحصاءات، الخرائط، والنشرات، وتمتاز هذه المصادر بدرجة عالية من الدقة، رغم صعوبة الوصول إليها أحيانا بسبب طبيعتها السرية أو المؤسسية.

ب-**المصادر الشخصية** :مثل المذكرات الخاصة، الرسائل الشخصية، السير الذاتية، وهي تعدّ مصادر نوعية غنية لكنها قد تعاني من التحيزات الذاتية. لذا يجب التعامل معها بحذر منهجي (الصاوي، 1992)

5/ المصادر الأولية والمصادر الثانوية:

يعدّ هذا التصنيف من أكثر التصنيفات تداولا ووضوحا بين الباحثين.

أ- **المصادر الأولية** :هي البيانات أو الوثائق التي يتم جمعها لأول مرة بغرض البحث مباشرة. **مثل:** المقابلات الميدانية، الملاحظات المباشرة، نتائج التجارب، أو الوثائق الأصلية غير المنشورة، ويميل الباحثون إلى استخدام هذه المصادر عند الحاجة إلى معلومات حديثة ودقيقة ترتبط ارتباطا مباشرا بمشكلتهم البحثية (أحمد حافظ، 1988).

ب- **المصادر الثانوية** :هي التي تعتمد على معالجة أو تحليل البيانات الأولية مثل المراجعات الأدبية، المقالات التحليلية، التقارير الإحصائية المنشورة، الموسوعات، أو الكتب المرجعية.

ويمكن تصنيف البيانات الثانوية إلى نوعين رئيسيين:

- **البيانات الثانوية الداخلية** :وهي بيانات يتم جمعها من داخل المؤسسة أو الهيئة نفسها، مثال: بيانات الموارد البشرية، توزيع الموظفين حسب الجنس أو الدرجة العلمية داخل جامعة معينة.
- **البيانات الثانوية الخارجية** :تشمل الإحصاءات العامة، قواعد البيانات الرسمية، التقارير الحكومية المنشورة، مثل نتائج التعداد السكاني أو بيانات وزارة التعليم.

مثال توضيحي :عند دراسة تأثير البطالة على الجريمة في الجزائر، يمكن استخدام تقارير وزارة العمل كبيانات ثانوية خارجية، في حين يمكن الاعتماد على مقابلات مع عاطلين عن العمل كبيانات أولية.

6/ مزايا البيانات الثانوية:

تعد البيانات الثانوية من أهم أنواع مصادر البيانات التي يعتمد عليها الباحثون في مراحل مختلفة من أبحاثهم، نظرا لما تتمتع به من خصائص تجعلها جاذبة للاستخدام الأكاديمي، ومن أبرز المزايا التي تميزها ما يلي:

أ- **نتاج خبرات بحثية سابقة** :تمثل البيانات الثانوية حصيلة جهود علمية تراكمية لباحثين سابقين، وقد صيغت في ضوء مناهج وأساليب علمية تم اختبارها وتجريبها في ميادين بحثية متنوعة، ومن ثم، فإن تجاهل هذه الخبرات يعد تقصيرا علميا قد يضعف من جودة البحث الجديد، فعلى سبيل المثال، قد يلجأ الباحث في علم الاجتماع إلى دراسات مسحية سابقة صادرة عن مراكز الإحصاء لفهم أنماط الهجرة الداخلية أو التغيرات في معدلات البطالة.

ب- **توفير الوقت والجهد والتكاليف** :تجنب البيانات الثانوية الباحث عبء تصميم أدوات جمع البيانات، واستهداف العينات، والتحليل الإحصائي الأولي، مما يسمح له بالتركيز على الجوانب التفسيرية والنقدية، فمثلا، يمكن الاستفادة من التقارير الصادرة عن

"الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء" في مصر، أو "هيئة الإحصاء السعودية" دون الحاجة لإعادة جمع بيانات ميدانية مكلفة (الشريف، 1996)

ج- **الطابع الدوري والمنهجي** :غالبا ما تجمع البيانات الثانوية ضمن دورات زمنية منتظمة، ما يوفر تسلسلا زمنيا يمكن تتبعه للكشف عن الاتجاهات وتحليل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية، وهذا يسهل على الباحث دراسة الظاهرة في سياقها الزمني، كتحليل تطور ظاهرة الطلاق أو البطالة خلال عشر سنوات متتالية، ما يعزز دقة النتائج.

د- **الموثوقية المؤسساتية** :غالبا ما تكون هذه البيانات صادرة عن جهات رسمية أو أكاديمية موثوقة مثل وزارات التخطيط، أو مراكز البحوث، مما يمنحها مصداقية عالية، خاصة إذا تم جمعها من مصادر متعددة وتقاطعت نتائجها.

7/عيوب البيانات الثانوية:

رغم ما توفره البيانات الثانوية من مزايا، إلا أن استخدامها لا يخلو من صعوبات وتحديات علمية قد تؤثر على موثوقية النتائج ودقتها، من أبرز هذه العيوب:

أ- **غياب الدقة والوضوح في المفاهيم** :قد تجمع البيانات لأغراض تختلف عن غاية الباحث، ما يؤدي إلى التباس في فهم المفاهيم والمصطلحات المستخدمة، فعلى سبيل المثال، قد تستخدم كلمة "أمية" في تقرير معين بمعناها التقليدي (عدم القدرة على القراءة والكتابة)، بينما في بحث آخر تستخدم لتدل على "الأمية الرقمية"، ما يستدعي من الباحث التأكد من دلالة المصطلحات.

ب- **احتمال وجود أخطاء في النقل أو النشر** :قد تحدث أخطاء أثناء تفريغ أو تلخيص البيانات، خاصة إذا لم يتم توثيق المنهجية بوضوح. وهذه الأخطاء قد تكون ناجمة عن قلة خبرة الباحثين الأصليين أو العاملين في الميدان الإحصائي (أحمد، 1979)

ج-**قصور في التصميم والتحليل** :قد يبنى تحليل البيانات على افتراضات غير دقيقة أو على أدوات غير صالحة للقياس، مما يحد من القيمة العلمية للنتائج.

د- **عدم توافق البيانات مع حاجات البحث الحالي** :قد تجمع البيانات الثانوية لأغراض إدارية أو إحصائية لا ترتبط بشكل مباشر بالإشكالية التي يدرسها الباحث، كما أن اختلاف وحدات القياس أو تركيز البيانات على الكم دون الكيف يضع الباحث أمام معضلة تفسيرية.

هـ- **تقادم البيانات وصعوبة تطبيقها على الواقع الراهن** :في بعض الأحيان، تكون البيانات قديمة إلى درجة تجعلها غير صالحة للاستناد إليها في تحليل ظواهر اجتماعية متغيرة بسرعة مثل سلوكيات الشباب أو استخدام وسائل الإعلام الحديثة.

و- **محدودية التحكم والمرونة** :لا يمكن للباحث تعديل أو تطوير هذه البيانات بما يتناسب مع تصميمه البحثي، بعكس البيانات الأولية التي يمكن التحكم فيها منذ البداية وفق احتياجات البحث.

المحور السابع: جمع المادة العلمية (التقميش)

1. تعريف التقميش لغة:

التقميش في اللغة هو جمع الشيء من هنا وهناك، وهو في أصله يطلق على جمع القماش لصناعة الثوب منه، وفي البحث العلمي، يعد التقميش من المصطلحات الأساسية، ويقصد به مرحلة جمع القرائن، والوثائق، والمعلومات التي تضفي على البحث مصداقية ومشروعية معرفية، مما يجعله مرجعا موثوقا يعتد به. (مهدي، 1993)

وقد قال علماء الرواية في ما مضى: "إذا كتبت فقمّش وإذا حدّثت ففتّش"، وهذه العبارة على اختصارها تحمل دلالة مهمة، فالمقصود بالكتابة أنه إذا شرع الباحث في النقل عن العلماء وأهل الاختصاص، فعليه أن يجمع المعلومات كما يجمع القماش لصناعة السجاد، من هنا وهناك، حتى يتكون النسيج العلمي المتكامل.

2. تعريف جمع المعلومات:

يعد جمع المعلومات من الخطوات الرئيسة في كل دراسة منهجية منظمة، ولتحقيق الغاية المرجوة من هذه الخطوة، ينبغي أن تتم عملية الجمع بدقة وتنظيم، وفي هذه المرحلة، يقوم الباحث بجمع الحقائق والبيانات العلمية المتعلقة بموضوع البحث، ولا شك أن طبيعة المادة العلمية تختلف من علم إلى آخر؛ ففي العلوم التطبيقية كالهندسة والطب والطب الشرعي، يقوم الباحث بإجراء تطبيقات مباشرة لنتائج البحث بغرض التوصل إلى أدوات تقنية جديدة.

أما في العلوم النظرية كالفيزياء، والبيولوجيا، وفلسفة اللغة(Philology) ، فإن اختيار المادة العلمية يتوقف على احتمالات التقدم المستمر في المعرفة التجريدية وتحويلها إلى معارف تجريبية وعلاقات منطقية، وفي علم الاجتماع، يتأثر اختيار المادة العلمية بالعوامل السياسية والأخلاقية إلى جانب الاعتبارات العلمية. (نبيل علي، 1994)

3.مفهوم المعلومات:

يرى الباحثون أن الفهم الجيد لمفهوم "المعلومات" يتطلب في البداية التمييز بين مفهومين متقاربين، هما "البيانات" و"المعلومات."

- **تعريف المعلومات لغويا:** المعلومات من حيث مدلولها اللغوي مشتقة من المادة اللغوية "علم"، وهي مادة غنية بالمعاني مثل: العلم، والإحاطة ببواطن الأمور، والوعي، والإدراك، واليقين، والإرشاد، والإعلام، والشهرة، والتميّز، والتبليغ، والمعرفة، والتعليم، والتعلّم، والدراية... إلى آخر تلك المعاني المرتبطة بوظائف الفعل "أعلم."

وتقابل كلمة "معلومات" في اللغة الإنجليزية كلمة Information، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Informatio، والتي كانت تعني في الأصل "عملية الاتصال أو إيصال محتوى معين" أو "نقل معرفة محددة."

- **تعريف المعلومات اصطلاحا:** المعلومات هي البيانات التي تمت معالجتها لتعطي معنى معينا أو لتستخدم لغرض معين، سواء لاتخاذ قرار أو دعم عملية معرفية. كما تعرّف بأنها البيانات التي اكتسبت قيمة بعد تنظيمها أو تحليلها أو تجميعها في شكل له دلالة، ويمكن تداولها، أو تسجيلها أو نشرها أو توزيعها في صورة رسمية أو غير رسمية وبأي شكل كان.

ويمكن أيضا اعتبار المعلومات بأنها الحقائق القابلة للتعميم، والتي يتوصّل إليها البحث العلمي بعد مراحل متعددة من التنقيب، والاستقصاء، والتجريب المبني على منهج علمي دقيق.

4. خصائص المعلومات:

تتميّز المعلومات بعدة خصائص تجعل منها موردا فريدا في السياقات المعرفية والتقنية، منها:

- **خاصية التشكّل والسيولة** :المعلومات تمتاز بالمرونة وقابلية إعادة الصياغة؛ حيث يمكن تقديمها على هيئة نصوص، جداول، رسوم بيانية، صور متحركة، أو أصوات، وهي خاصية توظّفها وسائل الإعلام بدرجة كبيرة في صياغة رسائلها وتوجيهها وفق أهدافها. (حشمت، 1990).
- **قابلية النقل عبر وسائط متعددة** :يمكن بث المعلومات عبر الإذاعة أو الوسائط الرقمية أو توزيعها ورقيا، مما يمنحها قدرة عالية على الوصول والانتشار.
- **الاندماج والتكامل** :يمكن دمج عناصر المعلومات بسهولة، مثل ربط أكثر من قاعدة بيانات أو إنشاء نص جديد من فقرات مستخلصة من مصادر متعددة.
- **الوفرة مقابل الندرة** :بخلاف الموارد المادية النادرة، تتسم المعلومات بالوفرة، ولهذا يسعى البعض إلى فرض قيود على تدفقها، بهدف خلق ندرة مصطنعة تحوّلها إلى سلعة تضبط بقوانين السوق.
- **عدم النفاد بالاستعمال** :على عكس الموارد المادية، فإن استهلاك المعلومات لا يؤدي إلى نقصها، بل غالبا ما يؤدي إلى تكاثرها، مما يجعل العلاقة طردية بين مستوى استهلاك المجتمع للمعلومات وقدرته على إنتاج معرفة جديدة.
- **سهولة النسخ** :يستطيع المتلقي إعادة إنتاج المعلومات بطرق سهلة ومتعددة، ما يشكّل تحديا كبيرا أمام قوانين حماية الملكية الفكرية.

5. شروط جمع المعلومات:

يلعب جمع المعلومات دورا محوريا في اختبار الفرضيات والتوصل إلى التعميمات العلمية، وعلى الباحث أن يراعي ما يلي:

- دراسة الأدبيات السابقة التي تناولت الموضوع من قريب أو بعيد.
- تحليل البيانات غير المنشورة أو الأبحاث الجارية ذات الصلة بالموضوع.
- مناقشة الإشكالية مع الزملاء والأساتذة المتخصصين.

- الإلمام بخطوات البحث العلمي بكل تفاصيله.

بعد مرحلة الاستكشاف المبدئي، يقوم الباحث بالبحث عن أماكن وأشكال وأحجام البيانات العلمية الضرورية من خلال الفهارس، المنشورات، الكتب، الدوريات، وخصوصا المتخصصة منها.

كما ينصح بالاطلاع على البحوث غير المنشورة، مثل مذكرات التخرج والماجستير والدكتوراه، سواء في نفس المؤسسة أو في مؤسسات وطنية وأجنبية. (أشرف ، 2008)

وفي هذه المرحلة، يبدأ الباحث بجمع هذه المعلومات وتدوينها في ملفات منظمة، يحتفظ بها حتى تستخدم لاحقا في مراحل التحليل والكتابة.

6. الفرق بين المعلومات والبيانات:

تعرف البيانات بأنها المعطيات الأولية أو "البكر" إن صح التعبير، والتي تستخلص منها المعلومات، وهي تتضمن ما يظهر في بطاقات البيانات الشخصية، ونماذج الاستبيان، وقراءات أجهزة القياس، والإشارات التي ترسل من أجهزة الإرسال وتلتقطها أجهزة الاستقبال، والبيانات تشمل أيضا ما ندركه مباشرة بحواسنا، مثل حركة العيون، وإيماءات الرأس، وتغير ملامح الوجه، وإشارات اليد، وغيرها.

وتعرّف البيانات كذلك على أنها مجموعة من الأرقام أو الحروف أو الرموز أو الكلمات، القابلة للمعالجة باستخدام الحاسوب، وبعبارة أخرى، هي المادة الخام التي تستقى منها المعلومات.

أما المعلومات، فهي ناتج معالجة البيانات إحصائيا أو منطقيا أو رياضيا، لاستخلاص المؤشرات والعلاقات والمقارنات، من خلال تطبيق العمليات الحسابية، والنماذج، والنظريات المختلفة.

بالتالي، تعد البيانات هي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها المعلومات، فهي المتغير المستقل، بينما المعلومات تمثل المتغير التابع الناتج عن معالجة تلك البيانات.

7.طرق وأساليب جمع المعلومات:

تعتبر عملية جمع المعلومات من الأساسيات التي تحدد مصداقية البحث ودقته، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يعتمد الباحث على أساليب متنوعة لجمع البيانات التي تؤدي إلى تكوين صورة شاملة ودقيقة حول الموضوع قيد الدراسة، يجب أن تكون هذه الطرق معتمدة على التحليل الدقيق للمصادر واختيار الأساليب الملائمة لتفادي الانحياز وضمان نتائج موضوعية.

تختلف أساليب جمع المعلومات حسب الأهداف البحثية وطبيعة الموضوع قيد الدراسة، حيث تنقسم إلى أساليب رئيسية كالمقابلات الشخصية، الاستبيانات، الملاحظة المباشرة، والبحوث الأرشيفية.

- **الأسلوب التحري الديداني(Field Research)** : يتعلق هذا الأسلوب بجمع البيانات الميدانية من خلال التفاعل المباشر مع البيئة المدروسة، ويتطلب هذا الأسلوب فحصا دقيقا للمجتمع أو الظاهرة التي تدرسها، من خلال مقابلات شخصية، استبيانات، أو مشاهدات ميدانية، إذ يكمن الهدف في جمع معلومات لم يتم نشرها بعد، تكون أكثر حداثة وتخص الظاهرة المدروسة بشكل مباشر (سعيد، 2017).

من المهم عند استخدام هذا الأسلوب أن يكون لدى الباحث قدرة على التحليل النقدي للبيانات التي يتم جمعها، بما يتماشى مع المراجع العلمية السابقة التي قد تحدد معايير أو افتراضات البحث، وتتطلب هذه الطريقة دقة كبيرة في التوثيق والتحقق من صحة المعلومات، من خلال تجنب الأخطاء التي قد تظهر بسبب التفسير الشخصي أو الانحياز (حمدي، 2019).

- **الأسلوب الثاني: المصادر الأرشيفية:** تعتبر المصادر الأرشيفية من أبرز أدوات البحث التي تعتمد على جمع البيانات من الوثائق والملفات غير المنشورة، وهذه الطريقة تتيح للباحث الوصول إلى معلومات قد تكون قديمة أو غير معروفة، لكنها حيوية لتوثيق الفترات التاريخية أو الأحداث التي لم تحظ بتغطية كافية في الأبحاث الحديثة (الفضلي، 2015).

أهمية هذا الأسلوب تكمن في مدى دقته وقدرته على استكمال المعلومات التي يتم الحصول عليها من خلال الأسلوب الميداني، فكلما كان الباحث مدركا لاستخدام المصادر الأرشيفية المتنوعة، زادت فرصه في اكتشاف جوانب جديدة للموضوع قيد البحث، وقبل أن يبدأ الباحث في جمع البيانات من الأرشيف، عليه أولا تحديد طبيعة البيانات المتاحة وتقييم مدى علاقتها بالموضوع البحثي،كما أن من الضروري أن يتم التحقق من مصداقية وصحة هذه المصادر لضمان نتائج موثوقة.

- **الأسلوب الثالث: الاستفادة من الدراسات السابقة:** من الضروري في بداية أي بحث أكاديمي أن يقوم الباحث بمراجعة الأدبيات السابقة بشكل شامل. هذه الأدبيات تشمل الدراسات السابقة التي تم نشرها في مجالات مشابهة، مما يساعد على تحديد الثغرات البحثية، وتكون هذه المراجعة قاعدة أساسية لتوجيه البحث نحو اتجاهات لم يتم استكشافها بعد أو لتأكيد صحة الافتراضات البحثية (علي، 2020).

يجب أن يكون للباحث قدرة على التمييز بين الدراسات ذات المصداقية والدراسات التي قد تحمل بعض التحفظات، وهذا يتطلب مهارة في النقد الأدبي وتحليل محتوى الدراسات السابقة بشكل علمي، وتعد هذه الخطوة مهمة لضمان أن نتائج البحث تتم بناء على أسس علمية صلبة.

8. طريقة جمع البيانات باستخدام الدفاتر أو الكراسات:

تعد طريقة استخدام الدفاتر أو الكراسات من أسهل الطرق وأكثرها استخداما بين الباحثين، خاصة في المراحل الأولية من جمع البيانات، وعلى الرغم من بساطتها، فإن هذه الطريقة تتسم بمرونة كبيرة، إذ تتيح للباحث تدوين الأفكار الأولية والبيانات الهامة التي قد تطرأ أثناء القراءة أو التفاعل الميداني. (عبد الله، 2016).

أ- مزايا هذه الطريقة:

- **رخيصة وغير مكلفة** :حيث لا تتطلب أية أدوات خاصة أو تقنيات معقدة.
- **سهولة الحمل والنقل** :يمكن للباحث حمل دفتر صغير أو كراسة معك في أي مكان لجمع المعلومات.
- **إمكانية التعديل والتنظيم** :رغم أن ترتيب المعلومات في الكراسة قد يكون صعبا في البداية، إلا أن الباحث يستطيع تدوين ملاحظاته بشكل عفوي، على أن يعيد ترتيبها وتنظيمها لاحقا.

ب- عيوب هذه الطريقة:

- **الافتقار إلى التنظيم** :يمكن أن تصبح الكراسات غير منظمة إذا لم يتم تنظيمها بشكل دوري.
- **صعوبة استرجاع المعلومات بسرعة** :قد يواجه الباحث صعوبة في الوصول إلى معلومة معينة عند الحاجة إليها إذا لم يتم تنظيم المحتوى جيدا.

9. طريقة البطاقات:

تعتبر طريقة البطاقات من الطرق الأكثر تنظيما ودقة في جمع المعلومات، حيث يتم تدوين كل فكرة أو ملاحظة على بطاقة منفصلة، مما يتيح للباحث تنظيم بياناته بطريقة مريحة وسهلة للاسترجاع (أحمد، 2018).

أ- كيفية استخدام هذه الطريقة:

- **كتابة ملاحظات واضحة** :يتم كتابة الفكرة أو المعلومة على بطاقة واحدة فقط دون تكديس أكثر من فكرة على نفس البطاقة.
- **ترتيب البيانات** :يتم تنظيم البطاقات وفقا لتصنيفات البحث، مثل الموضوعات، الفصول، أو العناوين الرئيسية، مما يسهل الوصول إليها واستخدامها عند كتابة البحث.
- **تضمين بيانات المصادر** :يجب أن تحتوي كل بطاقة على معلومات دقيقة عن المصدر الذي تم الحصول منه على البيانات، مثل اسم المؤلف، سنة النشر، اسم الكتاب أو المقال، ورقم الصفحة.

- **مزايا هذه الطريقة:**

- **سهولة الوصول إلى المعلومات** :بفضل التنظيم الجيد، يستطيع الباحث الوصول إلى المعلومة بسرعة وفعالية.
- **إمكانية إضافة أو حذف الأفكار بسهولة** :يمكن للباحث بسهولة إضافة أو تعديل البيانات التي جمعها وفقا لاحتياجات البحث.
- **التنظيم الدقيق** :توفر هذه الطريقة طريقة فعالة لتصنيف البيانات حسب الموضوعات والعناوين الرئيسية، مما يعزز من دقة البحث العلمي.

- **عيوب هذه الطريقة:**

- **تستغرق وقتا طويلا** :عملية كتابة وتنظيم البيانات على البطاقات قد تستغرق وقتا طويلا مقارنة بأساليب أخرى.
- **تتطلب الكثير من المساحة** :في حالة جمع كمية كبيرة من المعلومات، قد يحتاج الباحث إلى الكثير من البطاقات، مما يتطلب مساحة تخزين كبيرة.

ملاحظات ختامية حول جمع البيانات:

في النهاية، يجب على الباحث أن يتحلى بالصبر والدقة أثناء جمع البيانات، حيث أن عملية جمع المعلومات هي خطوة حاسمة في جودة البحث وموثوقيته، ويعتمد اختيار أسلوب جمع المعلومات على طبيعة الموضوع، أهداف البحث، والموارد المتاحة، وعلاوة على ذلك، يجب أن يظل الباحث مرنا في استخدام مختلف الأساليب حسب الحاجة، لضمان جمع معلومات شاملة ودقيقة تدعم فرضيات البحث وتحليل النتائج.

ب- **مزايا طريقة البطاقات:** تعد طريقة البطاقات واحدة من أساليب جمع البيانات الأكثر فعالية في البحث العلمي، حيث توفر مجموعة من المزايا التي تسهم في تنظيم وتحليل البيانات بشكل سلس. يمكن تلخيص أبرز مزايا هذه الطريقة فيما يلي:

- سهولة تتبع المصادر :تتيح البطاقات للباحث معرفة مصدر كل معلومة أو فكرة، مما يسهل عملية التوثيق والاسترجاع.
- تنوع جمع الآراء :يمكن جمع آراء متعددة حول فكرة واحدة باستخدام عدة بطاقات، مما يعزز تنوع البيانات.
- سهولة التنظيم :تساهم البطاقات في تنظيم المعلومات والأفكار بشكل يسهل على الباحث تحويلها إلى نصوص بحثية.
- إمكانية الاسترجاع المستقبلي :تتيح البطاقات حفظ البيانات بطريقة تسمح بالرجوع إليها في المستقبل دون فقدانها أو تلفها، مما يضمن استفادة طويلة الأمد منها.

ج- **عيوب طريقة البطاقات:** على الرغم من المزايا العديدة لطريقة البطاقات، إلا أن هناك بعض العيوب التي قد تحد من فعاليتها في بعض الحالات:

- **التكلفة العالية** :مقارنة بطريقة الكراسة التقليدية، تعتبر البطاقات أكثر تكلفة من حيث المواد والوقت.

- **حجم البطاقة** :البطاقات صغيرة الحجم قد لا تتسع لتسجيل معلومات كثيرة، مما يتطلب استخدام بطاقات أكبر أو أكثر عددا.
- **صعوبة في النقل** :حمل العديد من البطاقات ونقلها بين المواقع المختلفة قد يكون أمرا غير مريح.
- **صعوبة في الحصول عليها** :قد يصعب أحيانا العثور على البطاقات المناسبة في الأسواق أو الحصول عليها بكميات كبيرة.

10.طريقة الكلاسير المفتوح أو الدوسيو المقسم:

تعد طريقة الكلاسير المفتوح أو الدوسيو المقسم من الطرائق المتقدمة التي يفضلها العديد من الباحثين، حيث تعتمد هذه الطريقة على استخدام أوراق مثقوبة يتم ترتيبها داخل ملف، ويتم تقسيم هذه الأوراق إلى فئات مختلفة بناء على بنية البحث.

أ- كيفية إعداد الكلاسير المفتوح:

- يبدأ الباحث بشراء ملف (كلاسير) مزود بأوراق مثقوبة ومرنة لتنظيم المعلومات وفقا لمتطلبات البحث.
- يتم تدوين الاقتباسات على ورق عادي، ويفضل أن يكون وزن الورق 80 جراما لضمان المتانة.
- يتم تدوين المصدر المرجعي في الهامش السفلي لكل ورقة، مما يسهل العودة إليها عند الحاجة.
- عند الانتهاء من جمع البيانات، يتم ترتيب الأوراق داخل الملف وفقا للبنية المحددة مسبقا.
- بعد تنظيم المعلومات، يتابع الباحث تنسيق وترتيب البيانات داخل كل قسم من الأقسام المختلفة، مع مراعاة الحفاظ على توازن بين أجزاء البحث المختلفة.

- في حال امتلاء الملف، يمكن للباحث البدء في استخدام ملفات أخرى وتنظيم البيانات بناء على حجم البحث.

ب- **مميزات طريقة الكلاسير المفتوح:** تتمثل مزايا هذه الطريقة في سهولة حمل الملف، مقارنة بالصناديق التي قد يصعب التنقل بها، خاصة إذا كانت البطاقات كثيرة، كما أن هذه الطريقة تتيح الحفاظ على التنسيق العام وتنظيم البيانات بشكل يسهل الوصول إليها في أي وقت.

ج- **عيوب طريقة الكلاسير المفتوح:** من أبرز العيوب التي قد تواجه الباحث هي محدودية قدرة الملف على استيعاب البيانات الضخمة، مما يتطلب استخدام أكثر من ملف لتنظيم البيانات بشكل سليم، بالإضافة إلى ذلك، قد يحتاج الباحث إلى تعديل تنظيم الملفات في حال كان حجم البيانات يتجاوز قدرة الملف الواحد.

د- **خدمات المكتبات للباحثين:** تلعب المكتبات دورا مهما في دعم الباحثين، خاصة في ظل الثورة المعرفية التي تشهدها عصرنا الحالي،و نتيجة لتزايد كمية المعرفة والمصادر العلمية المتوفرة، أصبح من الصعب على الباحثين مواكبة كل ما هو جديد. لهذا، توفر المكتبات الجامعية مجموعة من الخدمات التي تسهم في تسهيل عملية البحث العلمي:

- **إتاحة الاطلاع الداخلي على الكتب والمراجع** :تتيح المكتبات للباحثين الوصول إلى مصادر المعلومات المتنوعة داخل المكتبة.
- **خدمات الاستعارة الخارجية** :تساعد المكتبات الباحثين على استعارة الكتب والدوريات التي لا يمكن العثور عليها في مكان آخر.
- **خدمات التصوير** :تقدم بعض المكتبات خدمات تصوير المحتويات بما يمكن الباحث من الحفاظ على نسخة مريحة.
- **التجميع العلمي** :في بعض الحالات، تقدم المكتبات خدمات جمع المقالات والبحوث ذات الصلة بتخصص الباحث.

و/أهمية الببليوجرافيات في المكتبات:

الببليوجرافيات تعد من أهم الأدوات التي تساعد الباحث في التحقق من صحة المعلومات وتنظيم مصادره. تتضمن الببليوجرافيات قوائم بالمواد المنشورة التي تسهل للباحث إيجاد الكتابات والمقالات التي تتعلق بموضوع بحثه، ومن خلال هذه الخدمة، يمكن للباحثين التحقق من صحة العناوين المشكوك فيها، واكتشاف أبحاث ودراسات سابقة قد تكون مفيدة.

- **الطريقة المثلى للاستفادة من المكتبات:**

- لتعظيم استفادة الباحث من المكتبات، ينبغي عليه اتباع الخطوات التالية:
- التعرف على مواقع المكتبات وكيفية الوصول إليها.
- فهم نظام الإعارة والاطلاع داخل المكتبة، بالإضافة إلى التعامل مع العاملين بلطف واحترام.
- البحث عن المراجع في صناديق البطاقات وتنظيم بياناتها وفقا لمصادر الفهرسة.
- الاستفادة من خدمات التصوير أو الاستعارة للحصول على نسخة من المواد التي يصعب الحصول عليها.
- إعداد خطة عمل مرنة لتنظيم الوقت والموارد، مما يساعد على إتمام البحث بشكل ميسر.

11. مفهوم تصنيف المادة العلمية:

تعد عملية جمع البيانات واحدة من المراحل الأكثر أهمية في البحث العلمي، حيث تستغرق الجزء الأكبر من وقت الباحث، ويعد الانتهاء من هذه المرحلة في أسرع وقت أمرا حيويا، بحيث يمكن للباحث التفرغ للمراحل الأخرى، خاصة تلك المتعلقة بالدراسة الميدانية، والتي تتطلب جهدا ووقتا ونفقات، وفي هذا السياق، تقدم مجموعة من الإرشادات العامة التي تساهم في تعزيز مهارات الطلاب في اختيار المراجع واستخدامها بشكل فعّال. يمكن تلخيص هذه الإرشادات كما يلي:

- **التصفح الأولي للمراجع** :يجب على الباحث البدء بتصفح مقدمة المرجع وفهرسه والمصادر التي اعتمد عليها المؤلف، ومن خلال ذلك، يستطيع الباحث التعرف على موضوع البحث وأبعاده، بالإضافة إلى القضايا والموضوعات التي يغطيها المرجع.
- **الاطلاع على دوائر المعرفة** :من المفيد للباحث قراءة ما كتب عن موضوعه في دوائر المعرفة ذات الصلة، حيث تقدم هذه الكتب أفكارا مبسطة قد تكون ذات علاقة بموضوع البحث، كما تساهم هذه الكتب في توجيه الباحث إلى المصادر الأصلية التي يمكن الاستفادة منها.
- **التركيز على المعالجة الدقيقة للموضوع** :يجب على الباحث التأكد من أن المرجع يعالج الموضوع بشكل متعمق، خاصة في الجزئيات التي يتطرق إليها البحث، ومن الضروري أن يتجنب الباحث قراءة مراجع لا تتعلق مباشرة بموضوعه لتوفير الوقت والجهد.
- **الاستشهاد بالمراجع الحديثة** :يفضل للباحث الاستعانة بالمراجع التي تقدمها الكتب الحديثة، لأنها تتضمن أحدث الدراسات والتطورات في المجال البحثي.
- **الإطلاع على الدوريات العلمية** :من الضروري أن يطلع الباحث على الدوريات والمجلات العلمية المتخصصة في مجاله لضمان الاطلاع على الأبحاث الجديدة التي قد تكون ذات صلة بالبحث، كما يجب عليه متابعة الإحصاءات الحديثة والمنشورات الحكومية التي قد تقدم بيانات مفيدة لدراسة الموضوع.
- **إجراء حصر شامل للمراجع** :يجب على الباحث القيام بحصر شامل للمراجع ذات الصلة بموضوع بحثه. يوفر هذا الحصر فوائد متعددة، تشمل:
  - الإحاطة بالأبعاد المختلفة للموضوع.
  - الاطلاع على الأساليب والطرق العلمية التي استخدمها الباحثون السابقون، مما يساعد على تجنب تكرار الأفكار ويسهم في تطوير موضوع البحث بشكل مبتكر.
  - الاستفادة من نتائج البحوث السابقة وتوصياتها لإثارة أفكار بحثية جديدة.

- إكساب الباحث مهارة فنية في البحث العلمي، وتنمية هذه المهارة بشكل مستمر.
- يتيح الحصر الشامل للباحث الاطلاع على ما سبق نشره في نفس التخصص، مما يساهم في تحسين جودة البحث.

المحور الثامن: استراتيجية البحث الوثائقي وتقنياته:

تعدّ مرحلة اختيار الإستراتيجية الملائمة للبحث الوثائقي إحدى أهم المراحل المنهجية في مسار أي بحث علمي، إذ تشكل الأساس الذي يبنى عليه كل ما يليه من خطوات تحليلية وتفسيرية، ويمكن تعريف البحث الوثائقي بأنه المسار المنهجي الذي يعتمد على جمع المعلومات والبيانات من مصادر قائمة (مطبوعة أو إلكترونية) بهدف تحليلها واستثمارها في بناء معرفة جديدة أو دعم فرضيات علمية قائمة (السهلي، 2020).

وتمثل إستراتيجية البحث الوثائقي التخطيط العقلاني والمنظم الذي ينتهجه الباحث للوصول إلى النتائج المرجوة بدقة وموضوعية، فهي بمثابة خطة شاملة تتضمن أدوات وتقنيات محددة لجمع المعلومات، بالإضافة إلى شبكة مترابطة من المفاهيم والخبرات والتجارب السابقة التي تمكّن الباحث من اتخاذ قرارات دقيقة فيما يتعلق بمسار البحث (خليل، 2021)، وهذه الخطة لا ترسم بشكل عشوائي، بل تبنى على أسس علمية ومنهجية واضحة تضمن الوصول إلى "المعلومة الصحيحة" التي تجيب عن "سؤال البحث" بشكل دقيق ومنطقي.

1/نماذج من إستراتيجيات البحث الوثائقي:

مع تطور البيئة الرقمية ووفرة مصادر المعلومات الإلكترونية، ظهرت العديد من الاستراتيجيات التي تسهّل عملية البحث، وتتيح للباحث التنقل السلس بين المصادر والمعلومات، ومن أبرز هذه الاستراتيجيات:

أ. إستراتيجية "الطلقة في الظلام(Shot in the Dark Strategy) "

تستخدم هذه الإستراتيجية في الحالات التي يكون فيها الباحث غير متأكد من المصطلحات الدقيقة المرتبطة بموضوع بحثه، ويعتمد هذا النوع من البحث على إدخال كلمة

مفتاحية واحدة فقط، على أمل أن تكون هذه الكلمة هي الأكثر تمثيلا للموضوع، وبالتالي تمكّنه من استرجاع عدد أقل من النتائج الدقيقة والمفيدة.

مثال توضيحي :إذا أراد الباحث البحث في موضوع "التحول الرقمي في الإدارة"، ولكنه لم يكن على دراية كافية بالمصطلحات، فقد يكتفي بإدخال كلمة "رقمنة" في محرك البحث الأكاديمي، على أمل أن تعيد له نتائج ذات صلة مباشرة بموضوعه، رغم محدودية المصطلح، وهذا يشبه إلى حد بعيد إطلاق رصاصة في الظلام، دون معرفة الاتجاه بدقة، على أمل إصابة الهدف (عليان، 2018).

إذا، فالباحث هنا يجازف بعدم الإلمام الكامل بالمفردات العلمية المرتبطة بموضوعه، وقد يحصل على نتائج محدودة أو غير دقيقة، مما قد يتطلب تكرار المحاولة بكلمات مفتاحية أخرى.

- **أهمية الكلمة المفتاحية في البحث الوثائقي:**

تلعب الكلمة المفتاحية دورا محوريا في أي استراتيجية بحث وثائقي، فهي الأداة التي تربط بين هدف الباحث ومحتوى قواعد البيانات، ولذلك، يجب أن تكون الكلمة المختارة دقيقة، متخصصة، وتمثل بدقة مجال البحث، وقد يستعين الباحث في بعض الحالات بـ"المكنز الموضوعي" أو "الحقول الدلالية" المتوفرة في قواعد البيانات لتحديد المصطلحات الأكثر استعمالا في المجال المدروس (العبيدي، 2022)

- **من الاجتهاد إلى الاحتراف: الانتقال من البحث العشوائي إلى المنهجية:**

بينما تستخدم إستراتيجية "الطلقة في الظلام" في المراحل الأولى من البحث الاستكشافي، إلا أن الباحث المحترف ينتقل سريعا إلى استخدام استراتيجيات أكثر تعقيدا وتنظيما، مثل الجمع بين الكلمات المفتاحية باستخدام معاملات منطقية(Boolean Operators) ، أو

استخدام البحث المتقدم الذي يتيح تحديد نطاق التاريخ، اللغة، نوع الوثائق، وغيرها من المعايير التي تضبط النتائج وتزيد من دقتها.

مثال تطبيقي :بدلا من البحث عن "الإدارة الرقمية"، يمكن استخدام الصيغة التالية: ("التحول الرقمي" AND "الإدارة العامة" NOT ("التعليم الإلكتروني")

وهذا يمكّن الباحث من تضييق مجال البحث، والتخلص من النتائج غير المرتبطة مباشرة بموضوعه.

يمثل البحث الوثائقي ركيزة أساسية في بناء المعرفة العلمية، وتعد استراتيجياته المتنوعة انعكاسا لقدرة الباحث على التفاعل مع المادة العلمية من جهة، ومع الأدوات التقنية الحديثة من جهة أخرى، كما أن اختيار الإستراتيجية الملائمة يعدّ فنا بحد ذاته يتطلب إلماما واسعا بمجال التخصص، وقدرة على تحليل وتقييم المعلومات.

ولذلك، فإن الباحث المتميز لا يكتفي بجمع المعلومات، بل يسعى إلى بناء رؤية تحليلية نقدية، مستفيدا من أحدث تقنيات البحث الرقمي، ومستندا إلى منهج علمي رصين يضمن له المصداقية والابتكار في آن واحد.

ب. استراتيجية "زراعة اللؤلؤ" في البحث العلمي الرقمي:

تعد استراتيجية "زراعة اللؤلؤ (Pearl Growing Strategy) "من الأساليب الذكية والمتقدمة التي يستخدمها الباحثون بهدف توسيع نطاق البحث والوصول إلى مصادر ومصطلحات جديدة لم تكن في الحسبان عند بدء عملية الاستقصاء المعرفي، يشير هذا المفهوم المجازي إلى كيفية تكوين اللؤلؤ من خلال إضافة طبقات متتالية حول نواة صغيرة، وهو ما يعكس منهجية تراكمية للمعرفة، حيث يبدأ الباحث بمعلومة بسيطة ثم يبني عليها للوصول إلى محتوى أكثر عمقا واتساعا.

في هذا السياق، يستفيد الباحث من خاصيات محركات البحث الحديثة مثل Google وExcite، التي تتيح خيارات متقدمة منها:

- (Find Pages Similar to thisابحث عن صفحات مماثلة).
- (Related Pages صفحات ذات صلة).
- (Cached Pages الصفحات المخزنة مؤقتا).

هذه الأدوات لا تقتصر على استرجاع الوثائق أو المقالات نفسها، بل تقترح أيضا مواد معرفية قريبة من حيث الموضوع أو السياق أو حتى المصطلحات المستخدمة، وهنا تكمن أهمية هذه الاستراتيجية، إذ تمكن الباحث من اكتشاف مصطلحات جديدة ومجالات بحثية موازية يمكن أن تشكّل منطلقا لبناء إطار نظري أكثر ثراء وابتكارا.

مثال توضيحي :إذا كان الباحث يبحث في "القيادة التحويلية"، فقد تبدأ عملية البحث بمقالة محددة من قاعدة بيانات أكاديمية، ومن خلال النقر على "الصفحات ذات الصلة"، قد يظهر له محتوى حول "القيادة الرقمية" أو "القيادة التشاركية"، مما يفتح أفقا جديدا لمقارنة المفاهيم أو توسيع الإشكالية البحثية.

ج. استراتيجية "البنجو" في تصفية وتنقيح نتائج البحث:

أما استراتيجية "البنجو (Bingo Strategy) "فهي تقنية متقدمة في البحث الوثائقي الإلكتروني تستخدم عندما يهدف الباحث إلى تحسين جودة نتائج البحث من خلال عزل الضجيج المعلوماتي(noise) ، وتجنب النتائج غير ذات الصلة، والتركيز على الوثائق عالية الصلة، وهي مناسبة بشكل خاص في البيئة الرقمية، حيث قد تتنوع نتائج البحث بين مصادر دقيقة وأخرى سطحية أو مشتتة.

تتطلب هذه الاستراتيجية استخدام ما يعرف بـ البحث المتقدم (Advanced Search)، وهي أداة تتيح للباحث التحكم الدقيق في عناصر البحث، منها:

- عنوان المقالة أو الوثيقة
- نوع الملفPDF ، DOC، HTML
- اسم المؤلف
- تاريخ النشر
- مصدر النشر أو قاعدة البيانات

ويمكن لهذه المعايير أن تفعّل بسهولة في العديد من محركات البحث الأكاديمية مثل:

- Google Scholar
- Scirus للأبحاث العلمية
- CiteSeer في مجال الحوسبة والمعلوماتية
- OPAC فهارس المكتبات
- المكتبات الإلكترونية الجامعية

يساعد هذا النوع من البحث الباحث على التخلص من المشكلات الشائعة مثل:

- **الضجيج المعلوماتي :(Noise)** ظهور وثائق غير ذات صلة بكلمات البحث.
- **الصمت :(Silence)** غياب الوثائق ذات الصلة بسبب سوء اختيار الكلمات المفتاحية.
- **التكرار أو التشويش المفاهيمي :**تعدد المعاني أو الترادف غير المرغوب فيه.

مثال توضيحي :باحث يريد مقالات أكاديمية منشورة بين 2015 و2023 حول "الذكاء الاصطناعي في التعليم"، يمكنه من خلال أدوات البحث المتقدم تحديد الفترة الزمنية، طبيعة الوثائق (مقالات أكاديمية محكمة فقط)، ولغة النشر، مما يساعده على الوصول إلى نتائج دقيقة وعالية الجودة.

يمثل الجمع بين استراتيجيات **مثل "زراعة اللؤلؤ" و"البنجو"** علامة فارقة في كفاءة الباحث في التعامل مع البيئة الرقمية المعرفية. حيث يتجلى التميّز البحثي في:

- استخدام أدوات البحث المتقدم بطريقة ذكية ومنهجية.
- استثمار خصائص المحركات الأكاديمية للوصول إلى بيانات نوعية.
- الربط بين المصادر واكتشاف العلاقات غير الظاهرة بينها.
- التنقل السلس بين المفاهيم بهدف توليد إشكاليات جديدة أو إثراء القائمة.

هذا المنهج المتكامل لا يظهر فقط براعة الباحث في التعامل مع الأدوات الرقمية، بل يعكس أيضا فهما عميقا للطبيعة التراكمية للمعرفة، وقدرته على تطوير مسارات بحثية مبتكرة تتجاوز النمطية والتقليد.

هـ. البحث البوليني(Boolean Search) :

يعدّ البحث البوليني استراتيجية بحث متقدمة، طوّرها عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي جورج بول (George Boole) في منتصف القرن التاسع عشر، وذلك من خلال مؤلفه المرجعي "بحث في قوانين التفكير "الصادر عام 1849، حيث أحدث بول من خلال هذا العمل تحوّلا جوهريا في علم المنطق، حيث نقله من الحقل الفلسفي إلى نطاق رياضي قائم على الجبر الرمزي.

يرتكز هذا النمط من البحث على منطق بولياني يستخدم معاملات منطقية أساسية مثل:(AND) و(OR) أو (NOT)

تستخدم هذه المعاملات لتحديد العلاقات بين الكلمات أو المفاهيم المستهدفة في عملية البحث، فعلى سبيل المثال:

- البحث عن "التعليم AND الرقمنة "سيظهر فقط النتائج التي تتضمن كلا المصطلحين.

- أما البحث بـ "التعليم OR الرقمنة "فسيتوسع ليشمل كل الوثائق التي تحتوي على أحد المصطلحين أو كليهما.
- في حين أن "التعليم NOT الرقمنة "سيقصي أي محتوى يتضمن الرقمنة، مكتفيا بنتائج تتعلق بالتعليم فقط.

لا تقتصر أهمية هذه المعاملات على البحث الوثائقي، بل تعد أساسا في الجبر الثنائي (Binary Algebra)الذي تقوم عليه البنية الرقمية للتكنولوجيا الحديثة، كما تستخدم ضمن خوارزميات محركات البحث مثل Google وBing، وأدوات الفهرسة والببليوغرافيات الإلكترونية الأكاديمية، حيث تتيح للمستخدمين إجراء عمليات بحث دقيقة داخل كتل ضخمة من البيانات.

و. البحث بطريقة التصفح(Browsing Search) :

تمثل طريقة التصفح أحد أساليب البحث الوثائقي المرنة، حيث لا يعتمد الباحث على كلمات مفتاحية محددة، بل يقوم بتنقّل استكشافي عبر صفحات مترابطة تنظم وفق معايير معينة، مثل:

- الترتيب الزمني للأحداث أو الإصدارات.
- الترتيب الهيكلي الشجري للمفاهيم.
- القوائم الأبجدية أو التصنيفية.

وتظهر هذه الطريقة بوضوح في الأدلة الإلكترونية وقواعد البيانات الأكاديمية مثل BBF، حيث يستطيع المستخدم التنقل عبر روابط تشعبية hyperlinksتربط بين مواضيع أو فئات متقاربة، ما يسمح باكتشاف معلومات جديدة قد لا تظهر من خلال البحث المباشر.

ز. البحث التشعبي(Hypertextual Search) :

يتميّز هذا النوع من البحث بالتفاعل مع نصوص فائقة الترابط(Hypertext) ، حيث يمكن للباحث التنقل من فكرة إلى أخرى بسهولة من خلال الروابط الداخلية في الصفحة نفسها أو الروابط الخارجية المؤدية إلى صفحات ومصادر ذات صلة، ويستخدم هذا النمط بكثرة في:

- الموسوعات الرقمية.
- المدونات الأكاديمية.
- قواعد بيانات العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وتمكن هذه التقنية الباحث من بناء مسارات بحث مرنة وشخصية من خلال تصميم استراتيجيات مخصصة تنظّم عمله على الإنترنت، خاصة في الحالات التي تتطلب تعدد المصادر أو تنقلا بين تخصصات معرفية متداخلة.

ط. التنقيب في البيانات(Data Mining) :

يعدّ التنقيب في البيانات من أحدث أدوات البحث الرقمي، ويشير إلى عملية تحليل كميات ضخمة من البيانات لاستخلاص أنماط أو علاقات خفية وتحويلها إلى معلومات قابلة للاستخدام.

تتم هذه العملية عادة عبر برامج وخوارزميات ذكية تعتمد على الذكاء الاصطناعي، وتستخدم في مجالات متقدمة مثل:

- تحليل الاتجاهات الاجتماعية.
- التنبؤ بسلوك المستهلك.
- تطوير نظم دعم اتخاذ القرار.

في السياق الأكاديمي، يستخدم التنقيب في البيانات لتحليل نتائج استطلاعات الرأي، أو تقاطع فئات بحثية في قواعد بيانات ضخمة (مثل Web of Science و(Scopus، وهو ما يتيح اكتشاف ترابطات جديدة قد تغيب عن التحليل اليدوي.

خاتمة: نحو مقاربة متكاملة للبحث الوثائقي الرقمي:

إن دمج الاستراتيجيات الأربع المذكورة أعلاه (البوليني، التصفح، التشعبي، والتنقيب) يوفر للباحث أدوات فعّالة لتطوير بحث رقمي متكامل يتسم بالعمق، والدقة، والشمول، فكل تقنية تكمّل الأخرى وتعزز قدرة الباحث على التعامل مع وفرة المعلومات الرقمية وتضخم المحتوى الأكاديمي في العصر الحديث.

استخلاص علاقات سببية أو ترابطية:

- **مثال تطبيقي:**

في البحث الأكاديمي، يمكن استخدام أدوات التنقيب لتحليل قاعدة بيانات تضم آلاف المقالات حول "التعليم عن بعد"، واستخلاص:

- أكثر المواضيع تكرارا
- المؤلفين الأكثر إنتاجا
- الترابط بين المفاهيم مثل(student engagement & learning outcomes)

- **أدوات مستخدمة:**

- برامج التحليل الإحصائي مثلSPSS :، R، Python (pandas & scikit-learn)
- أدوات التصوّر البيانيTableau :، Power BI

الخلاصة: إنّ استخدام الباحث لهذه الاستراتيجيات لا يعد مجرد تقنيات بحث، بل يعكس نضجا منهجيا ورؤية معرفية معاصرة .إذ تسمح له هذه الأدوات:

- بتحقيق دقة عالية في النتائج.
- اختصار الوقت والجهد.
- بناء قاعدة معرفية متينة لموضوعه البحثي.
- كما أنّ توظيفه لها يعزز من مصداقية أبحاثه ويجعله مواكبا لمعايير البحث العلمي المعاصر في ظل التحول الرقمي.

الحاجة إلى التدريب الإلكتروني على البحث الوثائقي:

في ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها عالم المعلومات والتقنية، لم يعد النقاش حول ضرورة التدريب الإلكتروني على تقنيات واستراتيجيات البحث الوثائقي ترفا معرفيا، بل أصبح مطلبا جوهريا وحاجة ملحة تفرضها طبيعة العصر، فبعد استعراض مختلف تقنيات البحث الوثائقي التي تتنوع في مستوياتها من حيث الصعوبة والتعقيد، يصبح من الواضح أن مجرد الإلمام النظري لا يكفي، بل يتعين على الباحثين إتقان تلك المهارات بشكل عملي وتطبيقي.

ففي الواقع الأكاديمي، كثيرا ما يواجه الأساتذة والباحثون في مراحلهم المتقدمة صعوبات في الوصول إلى مصادر نوعية، أو في صياغة استراتيجيات بحث فعالة ضمن قواعد البيانات الإلكترونية، وهنا تبرز الحاجة إلى تدريب متخصص يواكب التطورات الرقمية ويوفر للمستفيدين إمكانية استخدام أدوات البحث الحديثة بفعالية، **كمثال على ذلك**، نجد صعوبة البعض في التمييز بين محركات البحث العامة مثل "Google" وبين قواعد بيانات أكاديمية متخصصة مثل "Scopus" أو"EBSCO" ، مما يؤثر مباشرة على جودة إنتاجهم العلمي.

في هذا السياق، يضطلع أخصائيو المعلومات، لا سيما أولئك المؤهلين للتكوين والتدريب، بدور محوري في غرس ثقافة البحث الوثائقي، فهم لا يكتفون بتلقين المهارات التقنية فحسب، بل يسهمون في ترسيخ عقلية البحث المنهجي، وإعداد الباحث ليكون قادرا على استغلال أدوات الويب الجديدة بطريقة ناقدة وفعالة، تتماشى مع التحديات الرقمية المعاصرة.

وعندما نتحدث عن البحث الإلكتروني تحديدا، فإن المسألة تتجاوز مجرد التعامل مع الحواسيب والإنترنت؛ بل تتطلب وعيا تكنولوجيا متقدما، يتضمن إتقان استخدام الكلمات المفتاحية، والفلاتر، ومحددات البحث، والتعامل مع المجلات العلمية المحكمة، وهو ما لا يمكن تحقيقه دون تدريب ممنهج.

أما فيما يتعلق بالتدريب الذاتي على البحث الوثائقي، فقد انقسمت الآراء حوله: هناك من يرى ضرورة إتاحة الفرصة للباحثين لتدريب أنفسهم بناءا على مصادر تعليم ذاتي متوفرة على الإنترنت مثل "Coursera" و"EdX"، بينما يرى فريق آخر أن الإشراف التوجيهي من طرف مختصين لا غنى عنه، خاصة في البيئات التي تشهد ضعفا في الثقافة التكنولوجية.

غير أنه، وبغض النظر عن تباين الآراء، تبقى الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن نجاح الباحث في إتقان البحث الوثائقي المعاصر مرهون بمدى امتلاكه لمستوى معين من الثقافة الرقمية والوعي المعلوماتي، فالبيئة الإلكترونية اليوم متغيرة، وأدواتها تتجدد بوتيرة متسارعة، وبالتالي، يصبح من الصعب فصل تقنيات البحث عن التكنولوجيا، مما يستدعي ضرورة دمج التدريب المعلوماتي ضمن سياسات وخطط مؤسسات المعلومات.

من هنا، ينبغي على المكتبات الجامعية، ومراكز التوثيق، ومرافق البحث العلمي، أن تتبنى برامج تدريبية رقمية موجهة، لا تكتفي بإعداد باحث يعرف "أين يبحث؟"، بل تمتد لتكوين باحث قادر على "كيف يبحث؟"، ومتى وأين يستخدم كل أداة، وكيف يقيّم نتائج بحثه.

<u>وعلى سبيل المثال</u>: باحث في علوم التربية يبحث عن دراسات حديثة حول "التعلم القائم على المشروع"، قد يجد آلاف النتائج على الإنترنت، ولكن التدريب الجيد يمكنه من استخدام قاعدة بيانات مثل ERIC بمهارة عالية، وتصفية النتائج حسب السنة، والنوع، وطبيعة العينة، مما يوفر عليه الوقت ويرفع من جودة بحثه.

أو باحث في العلوم الطبية يبحث عن مقالات حول "التكنولوجيا الحيوية"، يستطيع من خلال التدريب الانتقال من البحث العشوائي إلى استخدام متقدم لقاعدة مثل PubMed، مما يزيد من دقة النتائج وجدواها.

أخيرا، لا يمكن الحديث عن تدريب فعال على البحث الوثائقي دون الحديث عن تحليل احتياجات المستفيدين، فكل فئة من فئات المستفيدين لها خصوصياتها المعرفية وتوقعاتها المستقبلية، مما يفرض ضرورة تصميم محتوى تدريبي مرن وتفاعلي، قادر على الاستجابة لتطلعات الباحثين في ظل البيئة الرقمية المتغيرة.

المحور التاسع: العمليات التوثيقية المعاصرة: التصنيف والتحليل كركيزتين أساسيتين

أولا: التصنيف في العمليات التوثيقية

يعد التصنيف أحد الركائز الجوهرية في العمليات التوثيقية، إذ يمثل المرحلة التي يتم فيها تنظيم المعلومات والوثائق بطريقة منهجية تتيح سهولة الوصول إليها لاحقا، وتكمن أهميته في كونه الأداة التي تمكّن الباحثين والمختصين في التوثيق من التعامل مع كميات ضخمة من البيانات والمستندات، عبر ترتيبات منطقية تسهّل عملية الاسترجاع والاستخدام.

في هذا السياق، فإن التصنيف ليس مجرد عملية فرز عشوائية، بل هو بناء معرفي متكامل يستند إلى معايير أكاديمية وتقنية، مثل التصنيف الموضوعي، أو التصنيف الزمني، أو الجغرافي، أو بحسب مصدر الوثيقة ونوعها

فعلى سبيل المثال، تعتمد أنظمة الأرشفة الرقمية الحديثة على التصنيف متعدد الأبعاد (Multidimensional Classification)، والذي يربط الوثيقة بخصائص متعددة في آن واحد، كالتاريخ، والموضوع، ونوع المحتوى، ما يتيح خوارزميات ذكية في البحث والاسترجاع، كما هو الحال في نظم إدارة المحتوى المؤسسي (ECM) أو الأنظمة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي.

إن فعالية التصنيف ترتبط بمدى تجانس وتكامل الوثائق ضمن مجموعات منطقية، ما يستدعي من الموثق أو الباحث الالتزام ببنية معيارية واضحة تضمن تصنيف الوثائق وفق نسق متسق، يسهل تحليلها واستثمارها لاحقا في اتخاذ القرار أو في إعداد الدراسات العلمية.

ثانيا: التحليل كأداة لفهم واستثمار الوثيقة

التحليل الوثائقي يمثل عملية فكرية وعلمية تهدف إلى تفكيك محتوى الوثيقة وتفسيره وربطه بسياقه الزماني والمكاني، لفهم دلالاته واستخلاص المؤشرات والمعاني الداعمة للعمل

البحثي أو الإداري، وينظر إلى التحليل على أنه أكثر من مجرد قراءة، بل هو تأويل علمي ومنهجي للبيانات والمعلومات التي تتضمنها الوثيقة.

تنبع أهمية التحليل من كونه الخطوة التالية الحاسمة بعد التصنيف، حيث يمكّن الباحث من بناء رؤية شاملة حول الوثائق المصنفة، فالتحليل يتيح، **على سبيل المثال**، الربط بين أحداث متفرقة في وثائق مختلفة، أو استخلاص مؤشرات كمية ونوعية تدعم بناء قرارات استراتيجية في ميادين متعددة، كالبحث العلمي، وصناعة السياسات العامة، وإدارة الأزمات.

وفي ظل التحولات الرقمية المعاصرة، أصبح التحليل أكثر تعقيدا وتقدّما بفضل الأدوات الحديثة، مثل تحليل البيانات الضخمة(Big Data Analytics) ، وتحليل النصوص المدعوم بالذكاء الاصطناعي(NLP) ، وتحليل المضمون(Content Analysis) ، وهي تقنيات تساعد في استخراج الأنماط والمضامين من الوثائق المتنوعة (نصوص، صور، فيديو، رسائل بريد إلكتروني....الخ).

ولتحقيق تحليل وثائقي فعال، لا بد من مراعاة أربعة عناصر أساسية تعد ضرورية لضمان الدقة والمنهجية، وهي:

- **تاريخ الوثيقة** :متى تم إنتاج الوثيقة؟ ما السياق الزمني المصاحب لها؟
- **مصدر الوثيقة** :من هو منتج الوثيقة؟ ما مدى مصداقيته؟
- **موضوع الوثيقة** :ما المجال المعرفي أو الإداري الذي تنتمي إليه؟
- **مستقبل الوثيقة** :ما الجهة أو الفئة المستهدفة من محتواها؟ وما إمكانات توظيفها لاحقا؟

إن فقدان أي من هذه الركائز الأربع أو التهاون في تحديدها بدقة قد يؤدي إلى إضعاف عملية التحليل ويفقد الوثيقة قيمتها المرجعية، فمثلا، إذا لم تصل المعلومات في الوقت المناسب إلى متخذ القرار – خصوصا في حالات الطوارئ أو الأزمات – فقد تتخذ قرارات مرتجلة أو غير دقيقة، ما يترتب عليه آثار قانونية أو اقتصادية جسيمة.

ولعل أبرز الأمثلة الحديثة على أهمية التحليل التوثيقي الدقيق هو ما شهدته بعض الحكومات أثناء جائحة كوفيد-19، حين تسببت المعلومات غير المصنفة جيدا أو غير المحللة بدقة في قرارات تأخرت أو جاءت غير متناسبة مع الواقع، ما أدى إلى تفشي أكبر للعدوى أو تعطيل غير مبرر للقطاعات الحيوية.

خلاصة:

إن التصنيف والتحليل لا يمثلان مجرد خطوات إجرائية في العمل التوثيقي، بل هما عمليتان متكاملتان تسهمان في تحويل الوثائق من مجرد مواد أرشيفية إلى أدوات استراتيجية لبناء المعرفة وصناعة القرار.

وفي ظل التطورات الرقمية والذكاء الاصطناعي، بات من الضروري توظيف التقنيات الحديثة لتعزيز دقة التصنيف وعمق التحليل، بما يحقق أهداف المؤسسات الأكاديمية والإدارية على حد سواء.

ثالثا: الفهرسة:

تعدّ الفهرسة من الدعائم الأساسية في عملية التوثيق بمفهومها الشامل، إذ تمثل المرحلة التي ينشأ فيها دليل استرجاع المعلومات، بغض النظر عن نوعها أو حجمها، ويعتمد الموثّق في تنفيذ الفهرسة على محتوى المادة الوثائقية من جهة، وعلى مجموعة من الأدوات الفنية والعلمية من جهة أخرى لمعالجتها بشكل منهجي.

وتتعدد الأدوات المعتمدة في هذا السياق، ويمكن تصنيفها ضمن الأنظمة التالية:

- **قوائم التصنيف مثل:** التصنيف العشري الكامل، التصنيف التوسعي، تصنيف مكتبة الكونغرس الأمريكية، التصنيف الموضوعي، التصنيف التوضيحي، والتصنيف الببليوغرافي.

- قوائم رؤوس الموضوعات، التي تقوم على بنية ثلاثية تشمل:

- **الموضوع الرئيسي** :بمثابة الرأس أو المدخل الأساسي.
- **التفريع الأول** :ويشير إلى الفصل أو المجال المتفرّع من الرأس.
- **التفريع الثاني** :ويمثل الامتداد الفرعي الأكثر تخصّصا.

رابعا: التكشيف:

التكشيف عملية وثائقية جوهرية، تستخلص من خلالها الكلمات الدالة التي تعبّر بدقة عن محتوى الوثيقة، وتستخدم فيما بعد لتمكين عمليات الاسترجاع الفعّال للمعلومة، وهو إجراء تكميلي للفهرسة، ويشكّل معها وحدة متكاملة ضمن منظومة التوثيق العلمي.

وتكمن أهمية التكشيف في كونه يوفّر مدخلات بحثية دقيقة من خلال تحديد المفاهيم الأساسية والكلمات المفتاحية، إلى جانب مرادفاتها، بما يعزّز من فاعلية البحث في قواعد البيانات الرقمية والمكتبية.

خامسا: المكنز:

يعدّ المكنز أداة محورية في عمليات التكشيف والتحليل الموضوعي للوثائق، إذ لا يمكن تصور بناء نظام تكشيف فعّال دون اللجوء إلى محتوى المكنز بما يتضمنه من كلمات دالة، مرادفات، ومشتقات لغوية دقيقة، فالمكنز يمثّل الوعاء المصطلحي الذي يجمع المفاهيم المصنفة وفق علاقات دلالية ممنهجة.

وتبرز وظيفته في كونه يقدّم أوصافا معيارية تستخدم كمفاتيح للبحث داخل قواعد البيانات، مما يسهل على الباحث الوصول إلى الوثائق ذات الصلة، لا سيما عندما يكون البحث شاملا لمفردات ومترادفات ومشتقات الكلمة محل البحث.

فعلى سبيل المثال، كلمة "برمجة الحاسوب" كما وردت في مكنز جامعة الدول العربية، تدرج تحتها مجموعة من المداخل الموضوعية مثل:

"برمجة الحواسب الإلكترونية" – "البرمجة المصغّرة" – "أنظمة البطاقات المثقبة" – "إدارة برمجة الحاسوب" – "برامج الحاسوب" – "البرمجة الرياضية" – "البرمجة الخطية" – "تحليل النظم" – "تشخيص الأخطاء"... وغيرها من المداخل ذات الصلة.

ومن هنا تتجلّى القيمة التوثيقية للمكنز، بوصفه مرجعا اصطلاحيا موحّدا يعزّز من دقّة التكشيف ويثري عملية استرجاع المعلومة.

خاتمة تحليلية: إنّ العمليات الوثائقية الثلاث – الفهرسة، التكشيف، والمكنز – تشكل منظومة متكاملة تضمن تنظيم المعرفة واسترجاعها بكفاءة عالية، غير أنّ فاعليتها باتت رهينة بقدرتها على التكيّف مع التحولات الرقمية المتسارعة، ففي ظل الثورة المعلوماتية، لم تعد أدوات التوثيق التقليدية كافية، بل أصبح من الضروري تطوير هذه الأدوات ضمن بيئة رقمية ذكية تعتمد على الذكاء الاصطناعي، التعلم الآلي، وتحليل البيانات الكبرى.

وفي هذا السياق، تبرز الرقمنة كخيار استراتيجي يتيح إعادة تصميم نظم الفهرسة والتكشيف بناء على بنى خوارزمية قادرة على فهم اللغة الطبيعية وتقديم توصيات آلية،كما يتيح "المكنز الرقمي" العمل التشاركي في إثراء المفاهيم وتحديثها باستمرار، مما يجعل من عملية استرجاع الوثيقة ليست فقط ممكنة، بل دقيقة ومخصصة وفق احتياجات المستخدمين.

إن التحول الرقمي لا يلغي البعد المفاهيمي للممارسات الوثائقية، بل يعيد توجيهها نحو مزيد من الديناميكية والتكيف مع بيئة معرفية متغيّرة، ومن هنا، تصبح مسؤولية الباحث المعاصر مزدوجة: الحفاظ على المبادئ العلمية الدقيقة للفهرسة والتكشيف، وفي الوقت ذاته، تبنّي المنصات والتقنيات الرقمية الحديثة لتطوير أداء هذه الأدوات وجعلها أكثر فعالية واستجابة لمتطلبات المعرفة الراهنة.

سادسا: عناصر الوثائق: التصنيف والتحليل :

إن دراسة الوثائق ودورها في نقل المعرفة وصون التاريخ تتطلب فهما عميقا للوثيقة وخصائصها. تمثّل الوثيقة مصدرا علميا يعتمد عليه في تحقيق الحقائق وإثبات القضايا، ولقد مرّت الوثائق عبر مراحل متعددة من التطوير والبحث قبل أن تصبح أحد الأدوات الأساسية في البحث العلمي والإثبات التاريخي، وقبل الدخول في مناقشة دور الوثائق وتأثيرها في الحياة المعاصرة، من الضروري أن نوضح ماهية الوثيقة وعناصرها الأساسية.

الوثيقة في أصلها تعد كمستند علمي يعتمد عليه في التحقيق والتثبيت، ويتم الاعتماد عليها في مجالات عدة مثل البحوث العلمية والمالية،و تتكون الوثيقة من أربعة عناصر أساسية، وهي: تاريخ الوثيقة، مصدر الوثيقة، مستقبل الوثيقة، وموضوع الوثيقة. وهذه العناصر تشكل الأسس التي يتم من خلالها تقييم الوثيقة وصلاحيتها.

1. **تاريخ الوثيقة:** هو العنصر الذي يحدد الوقت الذي أنشئت فيه الوثيقة، مما يعكس سياقها الزمني وأثره في الأحداث التي وثقتها.
2. **مصدر الوثيقة:** يشير إلى المكان أو الشخص الذي أنشأ الوثيقة، وهو أمر أساسي في تقييم مصداقيتها وموثوقيتها.
3. **مستقبل الوثيقة:** هو العنصر الذي يحدد الجهة أو الكيان الذي سيستخدم الوثيقة في المستقبل، كما يحدد إمكانيات استمرارية استخدام هذه الوثيقة.
4. **موضوع الوثيقة:** هو ما تتعلق به الوثيقة من قضايا أو مواضيع، ويحدد بدقة محتوى الوثيقة وأهدافها.

<u>أمثلة على الوثائق:</u>

على سبيل المثال، يعتبر "الحجر المؤابي" من أبرز الأمثلة على وثيقة تتعلق بتوثيق الحقائق التاريخية، وفقا للتوراة، يقال إن الغرب(الروم ، والصهاينة) حققوا انتصارات كبيرة

على العرب، وادعوا بأنهم أصحاب الحق في الأراضي التي عاشوا عليها، ولكن في الأردن، تم العثور على حجر يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، مكتوب عليه حقائق تعارض هذه الادعاءات، وهذا الحجر يعتبر وثيقة هامة في إثبات حقوق العرب في تلك الأراضي، ويحتوي الحجر على جميع العناصر الأساسية للوثيقة، حيث يعود تاريخه إلى قرن محدد، وقد تم العثور عليه في أرض يزعم الصهاينة ملكيتها، وكان موضوع الوثيقة دحضا للاعتداءات المزعومة من الصهاينة.

سابعا: الوثائق والموثّق:

لا يمكن للوثائق أن تؤدي دورها الفاعل في المجتمع إلا بعد أن تخضع لدراسات نقدية دقيقة، حيث يتم فحص صحة المعلومات التي تحتوي عليها ومدى تطابقها مع الواقع التاريخي، ويتطلب ذلك تفاعلا مستمرا من قبل الباحثين والمتخصصين في مجال الدراسات الوثائقية، ويقوم المتخصصون بتقييم الوثائق وتوثيقها ضمن معايير علمية صارمة لضمان أنها قابلة للاستخدام في البحث العلمي.

تخضع الوثائق في هذه المرحلة إلى دراسات نقدية تهدف إلى التأكد من مصداقيتها وتحديد مصادرها، ويتعامل الباحثون مع الوثائق من خلال تصنيفها وفقا للمعايير العلمية المتعارف عليها في هذا المجال، ويقومون بتحليل محتواها وتفسير معانيها في سياقات مختلفة، وهذه العملية تعتبر محورية في التأكد من أن الوثيقة تقدم معلومات موثوقة وصحيحة.

ثامنا: الصيانة والترميم:

إحدى أهم المهام التي يتطلبها الحفاظ على الوثائق هي صيانتها وترميمها بشكل دوري. يعتبر ذلك جزءا أساسيا من عملية الحفاظ على الوثيقة بشكل يتماشى مع الأهداف العلمية للمؤسسة أو المنظمة التي تحتفظ بها، حيث تستخدم تقنيات متطورة لضمان أن الوثيقة تظل

في حالة جيدة يمكن الاستفادة منها على المدى الطويل، ويتم حفظ الوثائق في أماكن مناسبة وفقا لخطط هندسية تضمن سلامتها من العوامل الجوية والتغيرات البيئية، كما يتم تصنيفها وفقا لأهمية الموضوعات التي تتعلق بها.

خاتمة: إن الوثائق لا تمثل مجرد أدوات تاريخية، بل هي في الأساس وسائل علمية تساعد في بناء المعرفة المستمرة، ولذلك، فإن تصنيف الوثائق وتحليلها يتطلب أسسا علمية دقيقة وعملية دقيقة لضمان نقل هذه المعرفة عبر الأجيال بشكل سليم.

المحور العاشر: أنواع الوثائق وأشكالها

عند عرضنا لمفهوم "الحجر المؤابي" كوثيقة يعتمد عليها في دحض الادعاءات الصهيونية، كان الهدف التأكيد على أن الوثيقة مهما كان شكلها، فإنها تتفق في المضمون الوثائقي الذي يغير من الفكرة أو وجهة النظر المترسخة، ومن هنا يمكن تصنيف أنواع الوثائق وأشكالها إلى أربعة أنواع رئيسية، وهي كما يلي:

أ – الوثيقة الكتابية:

لا شك أن هذا النوع هو الأكثر اعتمادية في مجال التوثيق، حيث يعتمد على واقع ثابت لا يحتاج إلى دراسات معمقة أو اجتهادات أو خبرات خاصة قائمة على الترجيح أو التخميني، وتشير الوثيقة الكتابية إلى كل ما هو مكتوب سواء كان مخطوطا أو مطبوعا، كما تشمل الرسائل والدوريات في مجال التوثيق، وتعتبر الصحف التي تتابع الأخبار المحلية والدولية جزءا من هذا النوع، حيث تعرض موضوعات متنوعة تركز على الأحداث الجارية في فترات زمنية معينة.

- **من أبرز خصائص الوثائق الكتابية:**

- **الصحف** :تتضمن الأخبار المحلية والدولية، حيث تنشر على فترات معينة وتتعامل مع موضوعات متعددة في نطاق زمني محدد.
- **المجلات** :تساهم في نشر مواضيع ثقافية، علمية، أو اجتماعية عبر مقالات متعددة.
- **المذكرات** :وهي عبارة عن سجل شخصي للأحداث والذكريات التي يكتبها الأفراد في مختلف المجالات كالسياست والاقتصاد والفن. تساهم المذكرات في تقديم رؤى حيوية وشخصية حول تجارب الأفراد.
- **التقارير** :وثائق تعرض نتائج علمية أو تحقيقات إدارية، غالبا ما تكون جزءا من عملية بحث أو مشروع.

كما يمكن اعتبار البيانات جزءا من الوثائق الكتابية، حيث تعرض وجهات نظر معينة أو توضح جوانب غامضة حول موضوعات محددة، و هذه الوثائق، التي تستخدم غالبا كأدوات تحليلية ودرجات مفاهيمية، تعتبر مصدرا أساسيا في الدراسات النقدية حينما تصبح قديمة أو تتجاوز فترات زمنية معينة.

وفيما يخص التوثيق التاريخي والعلمي، فإن الوثيقة الكتابية تظل أساسية في رسم ملامح الأحداث والتوجهات الفكرية عبر الزمن، وتعمل على تقديم أفكار وآراء علمية وتجريبية لمواقف تاريخية معقدة.

ب – الوثيقة التصويرية:

هذا النوع من الوثائق يعبر عن الأحداث والمعلومات من خلال الصور والرسوم البيانية والفيديوهات التي تحفظ وتوثق الأحداث في صور مرئية، وهي بذلك أداة قوية تساعد في نقل الوقائع بشكل أكثر وضوحا من خلال الشكل البصري، وتوفر الوثائق التصويرية قدرة على توصيل الرسالة بشكل سريع ومؤثر، وتعتبر من المصادر الحيوية في العلوم الاجتماعية والتاريخية والفنية.

وتشمل الوثائق التصويرية عدة أشكال:

- **الصور الفوتوغرافية** :تستخدم لتوثيق اللحظات والأحداث التاريخية أو الواقعية، حيث توضح الحالة المكانية والزمانية للمواقف المختلفة.
- **الرسوم التوضيحية** :قد تكون ضرورية في مجال البحوث العلمية والتاريخية، حيث تساعد على توضيح الأفكار المعقدة أو العمليات المعقدة من خلال رسوم تسهم في جعل المادة أسهل فهما.
- **الفيديوهات** :تعد الفيديوهات من أشكال التوثيق الفعالة التي تقدم سردا مرئيا مباشرا للأحداث.

الوثائق التصويرية تتسم بقدرتها على تقديم تجسيد حي ومباشر للواقع، مما يجعلها أداة مهمة في توثيق وتحليل الأحداث والمواقف التي لا يمكن ببساطة نقلها عبر النصوص الكتابية فقط.

ج – الوثيقة الصوتية:

تعتبر الوثيقة الصوتية من أنواع التوثيق التي تستخدم التسجيلات الصوتية للحديث عن أحداث أو سرد وقائع معينة، مثل المقابلات الصحفية أو التسجيلات الأدبية أو السياسية، تعتبر هذه الوثائق غنية بالمعلومات الشخصية والعاطفية، حيث تنقل نبرات الصوت والمشاعر المرتبطة بالأحداث.

من الأمثلة الشائعة على الوثائق الصوتية:

- **التسجيلات الصوتية** :التي تحتوي على مذكرات أو خطب أو مناقشات قد تكون مفيدة في الدراسات التاريخية أو الاجتماعية.
- **المقابلات المسجلة** :التي تستخدم لتوثيق تجارب وأفكار الأفراد في سياقات معينة.

د – الوثيقة الرقمية:

مع تقدم التكنولوجيا الحديثة، أصبح للوثائق الرقمية دور كبير في التوثيق، حيث تسهم في تسريع جمع المعلومات وتحليلها عبر الوسائل الإلكترونية مثل الحاسوب أو الإنترنت، إن القدرة على معالجة البيانات وتحليلها باستخدام الأدوات الرقمية تعد واحدة من أبرز خصائص الوثائق الرقمية، التي تتيح تخزين كميات ضخمة من البيانات بسهولة والوصول إليها بسرعة.

تشمل الوثائق الرقمية:

- **الملفات النصية** :التي تحتوي على تقارير، مقالات، ومذكرات علمية على شكل ملفات يمكن معالجتها بسهولة باستخدام البرمجيات الحديثة.
- **التسجيلات الرقمية** :مثل الصوتيات والفيديوهات التي يمكن تخزينها وتوزيعها عبر الإنترنت.
- **البيانات الإلكترونية** :التي تشمل السجلات الرقمية مثل قواعد البيانات وملفات Excel وغيرها من الأشكال الرقمية الحديثة.

في الختام، نجد أن الوثائق ليست مجرد أدوات للتوثيق فقط، بل هي جسور حيوية تربطنا بالأحداث والمواقف التي نعيشها أو تلك التي نحتاج إلى دراستها وتحليلها، وكل نوع من هذه الوثائق يسهم في فهم أعمق للواقع ويساعد في بناء رؤية شاملة للتاريخ والمجتمع.

هـ- الوثيقة التشكيلية:

تعتبر هذه الوثيقة كسابقتها في إطار الوثائق المساعدة وربما جاءت في منزلة الوثيقة التصويرية لأنها مماثلة لها في كثير من المقومات، وغالبا ما يكون لها قيمة مالية كبيرة خصوصا عندما تكون قد صيغت بيد أحد المشاهير في العلوم التشكيلية، فالوثيقة التشكيلية في الغالب تشمل على:

- **الآثار المعمارية** :مثل قصر الحمرا في غرناطة، ومسجد قرطبة، وقصر أشبيلية، وجامعة القرويين في فاس، وقبر السند باد البحري قرب بغداد، وأهرام الجيزة، وجامع شيرشاه في دلهي، وبرج الحسن الثاني في الرباط، وكنيسة باسيل الطوباو في موسكو وكنيسة القيامة في القدس، وقوس قسطنطين في روما وغيرها من المعالم الخالدة، وهذه المعالم وإضرابيها في أنحاء المعمورة تعتبر من الوثائق المساعدة، إذ تساعد على دراسة حضارات الأمم القديمة، وتحدد مظاهر الرفاه أو مستوى التدين عندها وربما يتوصل الأثريون في الكشف عن تاريخها إلى نتائج مذهلة في إدارة العمارة ومعرفة أسرارها، والمواد التي استخدمت في

إقامتها بعد أن فقدت الوثائق الكتابية التي خططت لهذه المعالم العظيمة، وهذه إذا وجدت في الأصل.

- **التماثيل ومستوى القدرة الفنية في نحتهما ومقدار عبقريتها وطاقتهم الخلاقة** :مثل تمثال أبي الهول في الجيزة حيث يستكشف فيه اهتمام المصريين القدماء في تخليد ذكراهم، فضلا عن تماثيل عظماء العام التي ترفعها الدول في الساحات العامة والملاعب تخليدا لهم وتحديدا لتواريخ ولادتهم وزفافاتهم، الأمر الذي يدفع بالشعوب إلى تخليد ذكراهم وربما الانكباء على دراسة ما أثّرهم في مجالات إبداعهم، وهذه المعالم والتماثيل والأبنية المنتشرة في أنحاء المعمورة تعتبر من الوثائق المساعدة، إذ تساعد على دراسة حضارات الأمم القديمة وتحدد مستوى مظاهر الرفاه أو مستوى التدين أو العلمي التي وصلوا إليها وربما يتوصل العلماء إلى نتائج مثيرة ومذهلة في إدارة العمارة ومعرفة أسرارها.
- **المسكوكات من النقود والميداليات والأوسمة** :وهي ذات قيمة حضارية كبيرة خاصة قطع النقود الرومانية والأموية التي ضربت لأول عهد العرب بالتحرر من استخدام النقود الأجنبية، فالدينار الأموي الذي سك من الذهب أو الفضة يكشف عن جوهر هذه الصناعة الأولية ومدى بساطتها وعدم توافق الدنانير جميعها في الشكل إذا ما قورنت هذه الدنانير إلى مسكوكات الأمم المعاصرة في الذهب كالليرة العثمانية الذهبية، أو الليرة الإنجليزية ملك، والبيزوس المكسيكي، والليرة الإيرانية، والتي جميعها أيضا موضوع نقد رجال المال بخاصة إذا ضاعت معالم الكتابة فيها، أو بهتت تسنناتها الدائرية فيتدنى عندئذ سعر مبادلتها.

المحور الحادي عشر: الاقتباس

تمهيد

يعدّ الاستفادة من النتاج الفكري المتجسد في الدراسات والبحوث السابقة من أهم المراحل المنهجية في إعداد البحوث العلمية، وتتعدد الطرق التي يمكن للباحث من خلالها أن يوظف هذا النتاج في إثراء موضوعه، ويعدّ **الاقتباس** من أبرز هذه الطرق وأكثرها شيوعا، فالاقتباس هو الوسيلة التي يدمج بها الباحث الآراء والأفكار والنظريات السابقة في صلب بحثه لدعم رؤاه أو مناقشتها أو توضيح بعض المسائل ذات الصلة.

1/تعريف الاقتباس:

أولا: المعنى اللغوي: جاء في معاجم اللغة أن الفعل "اقتبس" يعود إلى الأصل "قبس"، ويقال: قبس النار واقتبسها، أي أخذها أو طلبها، كما يقال: "جئت لأقتبس من أنوارك"، أي أستفيد منها، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: {انظرونا نقتبس من نوركم} (الحديد: 13)، إشارة إلى طلب النور والاستفادة منه، وفي الحديث الشريف: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر» (البخاري، 1997). ومن ثم، يتضح أن الاقتباس في معناه اللغوي ينطوي على طلب الإفادة والتزود بالمعرفة (ابن منظور، 1993).

ثانيا: المعنى الاصطلاحي: أما في الاصطلاح الأكاديمي، فيعرّف الاقتباس بأنه "عملية أخذ المادة العلمية نصا أو مضمونا من مصدر آخر، مع الإشارة الدقيقة إلى ذلك المصدر، بغرض دعم رأي، أو تأكيد خبر، أو توضيح مسألة علمية" (السرطاوي، 2013)، وقد يكون الاقتباس حرفيا حين ينقل النص كما هو دون تصرف، أو اقتباسا معنويا حين تنقل الفكرة بأسلوب الباحث الخاص مع المحافظة على مضمونها.

- **ويعتمد الباحث على الاقتباس في حالات متعددة، منها:**

- تدعيم حجة علمية في سياق جدلي.

- إرجاع الفضل إلى عالم قد سبق إلى توضيح فكرة أو حل إشكال.
- الاستشهاد بمقولة أو نظرية يراد اعتمادها أو الانطلاق منها في بناء البحث (كرمي، 2005).

وتبرز أهمية الاقتباس في كونه وسيلة لتحقيق التراكم المعرفي، وهو أحد أبرز سمات البحث العلمي الرصين، إذ يمكّن الباحث من توسيع أفق الدراسة وربطها بجذورها النظرية والمعرفية.

ويؤكد المختصون أن أي مادة علمية يرى الباحث أن تصرفه فيها قد يفقدها قيمتها العلمية، ينبغي تقديمها مقتبسة نصا كما وردت في المصدر (خليل، 2016)، ويشمل الاقتباس مختلف الأشكال العلمية: فكرة، أو نتيجة بحث، أو نظرية، أو مقولة، أو بيت شعر، أو وجهة نظر محددة.

تعدّ عملية الاقتباس من أهم جوانب البحث العلمي، حيث تساهم في تعزيز مصداقية العمل الأكاديمي ودعمه بالأدلة والمصادر الموثوقة، وقد تم تقسيم الاقتباسات إلى عدة أنواع استنادا إلى حجم النص وطبيعة المصدر، وهو ما يتيح للباحث خيارات متعددة لتوظيف هذه العملية بما يتماشى مع أهداف البحث وطبيعة المعلومات المستفادة. تتعدد أساليب الاقتباس وفقا للعدد الإجمالي للجمل، وعدد الكلمات، وكذلك النوعية التي يتم اقتباسها.

2/ أنواع الاقتباس

أ/حسب عدد الكلمات:

1. **الاقتباس القصير** :يعرّف الاقتباس القصير بأنه النص الذي لا يتجاوز 40 كلمة، ويتم إدراجه ضمن إشارة اقتباس مزدوجة"quotation marks" ، مع ذكر المصدر كاملا في الهامش وفقا لطريقة التهميش المعتمدة، مثل أسلوب ألبا.

مثال على الاقتباس القصير" :ويعود التفكير ما وراء المعرفي إلى التفكير عالي المستوى الذي يتضمن مراقبة العمليات المعرفية والتخطيط لها وتقييمها" (محمود، 2001).

2. **الاقتباس الكبير** :في حال كان النص الذي يتم اقتباسه يتجاوز الـ 40 كلمة، يكتب بشكل منفصل عن النص الأساسي، وذلك بترك مسافة أكبر من الجانبين الأيمن والأيسر، مع عدم استخدام علامات الاقتباس المزدوجة، وعلاوة على ذلك، يتم ذكر المصدر في الهامش مع ذكر رقم الصفحة والمرجع الكامل.

مثال على الاقتباس الكبير :وقد استخلاص الشريم والسوالمة (2006) ما يلي:

إن استخدام أسلوب "أنجوف" لتحديد علامة القطع في الاختبارات محكية المرجع يعطي درجة قطع أعلى من درجة القطع التي يعطيها أسلوب "ندلسكي"، ويعزى ذلك لعدة أسباب تتعلق بطبيعة أسلوب "أنجوف" مقارنة بطبيعة أسلوب "ندلسكي" وخلفية المحكمين ومدى إدراكهم للحد الأدنى المقبول للتمكن أو الإتقان .

ب/ أنواع الاقتباس حسب الطبيعة:

1.الاقتباس المباشر :يشير الاقتباس المباشر إلى نقل النص حرفيا من المصدر دون أي تعديل في الصياغة، وهذا النوع من الاقتباس يعدّ ضروريا في الحالات التي يتعذر فيها إعادة صياغة النص بشكل مختصر أو عند الرغبة في توثيق فكرة معينة كما هي دون تغيير.

مثال على الاقتباس المباشر" :النصوص القانونية تعتبر من المصادر الرئيسية التي يعتمد عليها الباحث في تكوين الإطار النظري للبحث، خاصة عندما تتعلق المسائل القانونية التي تستدعى في البحث الأكاديمي" (الشرطي، 2019).

2.الاقتباس غير المباشر :أما في الاقتباس غير المباشر، فيتم نقل فكرة الكاتب بشكل مخلص، أي أن الباحث يقوم بصياغة الفكرة بنفسه، ولكن يشير إلى المصدر الذي أخذ منه الفكرة، وهذا النوع من الاقتباس يسمح بتوفير سلاسة أكبر في الكتابة ويعزز من قدرة الباحث على إعادة صياغة الأفكار بطرق متنوعة.

مثال على الاقتباس غير المباشر :يشير العزاوي (2018) إلى أن النصوص القانونية تعدّ بمثابة العمود الفقري الذي يعوّل عليه الباحث في وضع أسس الدراسة، حيث يعتمد عليها بشكل كبير في تحديد الإطار التشريعي الذي يؤثر في موضوع البحث.

أمثلة إضافية على الاقتباسات:

- القرآن الكريم، الذي يعدّ مصدرا أساسيا في العديد من البحوث الإسلامية.
- الأحاديث النبوية، التي تحظى بأهمية خاصة في المجالات الدينية والاجتماعية.

– التعابير ذات الأهمية التي يذكرها القادة أو العلماء والتي تحمل مفاهيم معرفية عميقة.

3/تقنيات خاصة للاقتباس عند طول النص:

إذا تجاوز النص 5 أسطر، يفضل أن يتم تمييزه من خلال الكتابة بخط أصغر أو تقليص المسافة بين السطور بشكل واضح، يوضاف إلى ذلك أن النصوط الطويلة قد تستعرض بكتابة مائلة أو في سطور متقاربة، وفي هذه الحالة يضاف رقم الهامش بالأسفل كما يتم تطبيق نفس رقم الاقتباس الذي وضع على النص.

مثال على النص الطويل :في بعض الحالات، عند الاقتباس من فقرات طويلة، مثل تلك الموجودة في القوانين أو التوصيات السياسية، يمكن استخدام المسافة الأكبر بين السطور لضمان وضوح النص وعزل الفكرة عن المحتوى الرئيسي للبحث.

الخلاصة: تعدّ عملية الاقتباس من الأدوات المهمة التي تساهم في تعزيز مصداقية البحث العلمي وضمان الأمانة العلمية في تقديم المراجع، يعتبر التمييز بين أنواع الاقتباس، سواء كان قصيرا أو طويلا، مباشرا أو غير مباشر، من الأساسيات التي ينبغي أن يعتمد عليها الباحث لضمان التنسيق السليم للبحث، وفي النهاية، يمثل الاقتباس أحد المظاهر الأساسية التي تضمن الجودة والاعتمادية في العمل الأكاديمي.

4.الاقتباس غير المباشر:

الاقتباس غير المباشر يتطلب من الباحث أن يكون دقيقا في اختيار الكلمات التي تستخدم لإعادة صياغة الفكرة، مع التأكد من أن المعنى الأصلي يتم نقله بدون أي تغيير قد يؤدي إلى تحريف الفكرة، كما ينبغي أن يتم العمل على تجنب أي نوع من أنواع التأكيدات المبالغ فيها أو التفسير الخاطئ، وإذا كانت الفكرة قد تم اقتباسها بشكل غير مباشر، فيجب على الباحث الإشارة إلى المصدر الذي استقى منه الفكرة، وذلك من خلال ذكر اسم المؤلف وسنة النشر في المتن، بالإضافة إلى ذكر المصدر في قائمة المراجع في النهاية.

- **الطرق المستخدمة في الاقتباس غير المباشر:**

1/طريقة الاستشهاد :يقوم الباحث بتأكيد ما قاله مؤلف سابق بشأن نقطة معينة، ويذكر اسم المؤلف وتاريخ الكتابة، وعلى سبيل المثال" :كما أشار عبد الله ناصيف (2020) إلى أن التطور الرقمي أصبح له دورا أساسيا في تغيير نمط التعليم".

2/طريقة التقويم :في هذه الطريقة، يقوم الباحث بتقييم أو إبداء رأيه حول الفكرة المقدمة من المؤلف الآخر، مثل أن يقول: "يتفق الباحث محمد حسن علوي مع ما ذكره ناصيف (2020) في تأثير التقنية على التعليم، مشيرا إلى أن الابتكار التكنولوجي يعد من أبرز محركات هذا التحول".

3/طريقة الإشارة :وهي تشير إلى إجراء مقابلة أو التحدث مع شخص مختص حول الموضوع، وعادة ما يتطلب ذكر اللقاء والتاريخ في نهاية الاقتباس مثل" :في مقابلة مع الدكتور علي عادل، أشار إلى أن التقنية تشكل تحديا كبيرا في التعليم التقليدي".

شروط الاقتباس غير المباشر:

4/التوازن :يجب أن يتم الاقتباس بشكل متوازن دون أن يكون فيه أي محاولة للتضخيم أو التقليل من أهمية الفكرة.

5/تركيز النصوص :يجب أن يكون الاقتباس غير المباشر من مصادر تتعلق بالموضوع المدروس، حيث يكون لكل مصدر علاقة واضحة بمحتوى البحث.

6/الإشارة الدقيقة للمصدر :بعد إعادة صياغة الفكرة، لا بد من ذكر المصدر بشكل دقيق في الهامش أو في المتن. يمكن استخدام أسلوب التهميش مثل:

7/التهميش في المتن: "كما أشار عبد الله ناصيف في دراسته (2020) إلى تطور التعليم بسبب التقنيات الحديثة".

8/التهميش في الهامش: ناصيف، عبد الله. "تأثير التعليم الرقمي في المدارس الحديثة"، (مجلة علوم التربية، 2020، ص. 45.

- **أهم المراجع التي يمكن الاعتماد عليها في الاقتباس غير المباشر:**

1/الكتب الأكاديمية :الكتب العلمية والمراجع الأكاديمية التي تحتوي على فصول حول موضوع الدراسة تعتبر من المصادر الأساسية لاقتباس الأفكار بشكل غير مباشر.

2/المقالات البحثية :يمكن للباحث الاستفادة من المقالات العلمية المحكمة التي تناقش موضوعات مماثلة أو تطرق إلى نفس الموضوعات المتعلقة بالدراسة.

3/الدراسات السابقة :تعتبر الدراسات السابقة التي تناولت نفس الموضوع أو نفس العينة الدراسية مصدرا مهما للاقتباس غير المباشر، وتعتبر مرجعية في استكشاف الأفكار والتوجهات البحثية.

4/التقارير والإحصائيات الحكومية :التقارير التي تصدر عن المؤسسات الحكومية أو الوكالات الدولية توفر معلومات موثوقة يمكن الاقتباس منها، بشرط التأكد من صحتها وتوثيقها بدقة.

مثال على التهميش وتوثيق المراجع:

اقتباس غير مباشر في النص:

"يعتبر التحول الرقمي في مجال التعليم أحد العوامل التي تسهم في تحسين جودة التعليم وتوسيع نطاق الوصول إلى المعلومات". (محمد حسن علوي، 2019).

التهميش في الهامش:

- علوي، محمد حسن. "التحول الرقمي في التعليم: تأثيره على العملية التعليمية"، دراسة ميدانية، 2019، ص. 78.

التوثيق في قائمة المراجع:

علوي، محمد حسن. "التحول الرقمي في التعليم: تأثيره على العملية التعليمية"، دراسة ميدانية، مجلة تعليم وتكنولوجيا، 2019، ص. 75-80.

- **أهمية الاقتباس غير المباشر في البحث العلمي:**

- **تجنب الانتحال** :الاقتباس غير المباشر يساعد الباحث في نقل أفكار الآخرين بطريقة تجنب الانتحال الأدبي.

- **إثراء البحث** :من خلال الاقتباس غير المباشر، يمكن للباحث دمج العديد من الأفكار والرؤى من مصادر متعددة.
- **التحليل الشخصي** :يتيح هذا النوع من الاقتباس للباحث تقديم تحليل شخصي حول الأفكار المستخلصة من مصادر متعددة.
- إن الاقتباس غير المباشر يشكل جزءا أساسيا في البحث العلمي، إذ يمنح الباحث القدرة على تفسير وتحليل الأفكار وتقديمها في سياق جديد ومفيد، مما يعزز من قيمة البحث ويدعم الاستنتاجات التي يتم التوصل إليها.

المحور الثاني عشر: فهم أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر: من النظرية إلى التطبيق

إن التوثيق هو عملية جمع وتنظيم وحفظ المعلومات والبيانات بحيث يمكن الرجوع إليها في أي وقت وبطريقة منظمة وفعالة، ومع تطور التكنولوجيا الرقمية، أصبحت أنظمة التوثيق الرقمية جزءا أساسيا في جميع المؤسسات والمجالات، خاصة في المجالات الأكاديمية والإدارية، وفي الجزائر، شهدت أنظمة التوثيق تحولا نوعيا خلال العقدين الأخيرين، حيث أصبح التوثيق الرقمي مكونا أساسيا في الحفاظ على المعلومات وحمايتها من الضياع أو التزوير، مما يسهم في تسهيل الوصول إلى الوثائق والمعلومات في الوقت المناسب.

تهدف هذه المحاضرة إلى استعراض نماذج أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر، وتحليل أثرها في تحسين جودة الخدمات الإدارية والأكاديمية، مع تسليط الضوء على المفاهيم والمصطلحات الحديثة في هذا المجال.

1. تعريف أنظمة التوثيق الرقمية:

إن أنظمة التوثيق الرقمية هي منصات إلكترونية تستخدم لتخزين وتنظيم وإدارة الوثائق والمعلومات بطرق رقمية، وتشمل هذه الأنظمة أدوات وبرمجيات لرقمنة الوثائق، وضمان الوصول الآمن إليها، وحمايتها من التلاعب أو الفقدان، وتلعب هذه الأنظمة دورا مهما في تسريع الإجراءات الإدارية وتحسين فعالية العمل داخل المؤسسات.

المفهوم الأساسي :التوثيق الرقمي هو الانتقال من النظام التقليدي للوثائق الورقية إلى أنظمة حوسبة متقدمة تستخدم قواعد البيانات الإلكترونية، مما يسمح بالحصول على الوثائق بسرعة ودقة عالية.

2. أنواع أنظمة التوثيق الرقمية:

في الجزائر، توجد عدة نماذج لأنظمة التوثيق الرقمية، يمكن تصنيفها إلى فئات رئيسية حسب مجالات استخدامها:

أ- **أنظمة التوثيق الحكومية** :في السنوات الأخيرة، قامت الحكومة الجزائرية بتطوير أنظمة توثيق رقمية لتسهيل إجراءات المعاملات الحكومية، مثل النظام الإلكتروني للمؤسسات الحكومية(e-gov) ، الذي يهدف إلى تسريع الإجراءات وتوفير الوقت للمواطنين.

ب- **أنظمة التوثيق الأكاديمي** :تعتبر الجامعات والمراكز البحثية من أبرز المؤسسات التي تبنت التوثيق الرقمي في الجزائر، وعلى سبيل المثال، تقوم العديد من الجامعات الجزائرية باستخدام أنظمة لإدارة البحث العلمي والمكتبات الرقمية، مما يسمح بتخزين الأبحاث والمقالات الأكاديمية رقميا.

ج-**أنظمة التوثيق في المؤسسات الخاصة** :في المؤسسات الخاصة، يتم استخدام برامج إدارة الوثائق الرقمية مثلSharePoint وDocuSign لتنظيم العقود والتوثيقات الرسمية بين الأطراف المتعاقدة.

3. مميزات أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر:

تتمثل أهم المميزات التي توفرها هذه الأنظمة في الجزائر في عدة جوانب:

- **الوصول السريع** :توفر الأنظمة الرقمية إمكانية الوصول إلى الوثائق في أي وقت ومن أي مكان، مما يساهم في تسريع العمليات الإدارية.
- **حماية البيانات** :تضمن الأنظمة الرقمية حماية عالية للبيانات عبر تقنيات التشفير والنسخ الاحتياطي.
- **تقليل التكاليف** :من خلال التحول الرقمي، يتم تقليل التكاليف المرتبطة بتخزين الوثائق الورقية وصيانتها.

- **التكامل مع الأنظمة الأخرى** :بعض الأنظمة الرقمية تسمح بالتكامل مع أنظمة أخرى، مما يسهل تدفق العمل بين مختلف الأقسام والمؤسسات.

4. التحديات التي تواجه أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر:

على الرغم من الفوائد التي توفرها أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر، فإن هناك العديد من التحديات التي قد تعيق تنفيذها على نطاق واسع:

- **البنية التحتية التكنولوجية** :في بعض المناطق، تظل البنية التحتية الرقمية ضعيفة، مما يعيق تطبيق أنظمة التوثيق الرقمية بكفاءة.
- **التكلفة المرتفعة** :إن تكاليف بناء الأنظمة الرقمية وتدريب الموظفين عليها قد تكون عائقا أمام المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.
- **القدرة على التأقلم مع التغيرات** :يعاني بعض الموظفين من صعوبة في التأقلم مع الأنظمة الرقمية الجديدة، مما يتطلب تدريبا مستمرا.

- **<u>أمثلة توضيحية</u>**

- **النظام الرقمي للمكتبة الوطنية الجزائرية** :قامت المكتبة الوطنية الجزائرية بتطبيق نظام رقمي يسمح بتخزين جميع الكتب والمراجع العلمية بطريقة رقمية، مما يتيح للباحثين والطلاب الوصول إلى هذه المواد بكل سهولة.
- **النظام الرقمي للمؤسسات التعليمية** :في بعض الجامعات الجزائرية، تم استخدام أنظمة لإدارة المقررات الدراسية، بحيث يتم تخزين المقررات، الكتب الدراسية، وأبحاث الطلاب رقميا، وهذا النظام يساعد في تبادل المعلومات بين الطلاب والأساتذة بشكل سلس وفعال.

6. دور الحكومة الجزائرية في دعم التحول الرقمي للتوثيق:

لقد قامت الحكومة الجزائرية بتشجيع التحول الرقمي في كافة القطاعات، بما في ذلك التوثيق الرقمي، من خلال إصدار القوانين والمراسيم التي تدعم هذه المبادرات،وعلى سبيل المثال، تم إنشاء هيئة الوكالة الوطنية لترقية التجارة الإلكترونية(ANPT) ، التي تهدف إلى تسريع التحول الرقمي في المؤسسات الجزائرية.

7. المستقبل المحتمل لأنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر:

تتجه الجزائر نحو تطوير بنية تحتية رقمية متكاملة لدعم التوثيق الرقمي على مستوى المؤسسات العامة والخاصة، ومن المتوقع أن تشهد السنوات القادمة تحسنا كبيرا في هذا المجال مع استثمارات أكبر في التدريب والتعليم الرقمي، واستخدام تقنيات مثل الذكاء الاصطناعي لتحسين إدارة الوثائق.

إن أنظمة التوثيق الرقمية في الجزائر تمثل خطوة كبيرة نحو تطوير الأداء الإداري والعلمي، ولكن، لتحقيق استفادة شاملة منها، من المهم أن تعزز هذه الأنظمة بتكنولوجيا متطورة، بالإضافة إلى تدريب المستخدمين بشكل مستمر، ويعتبر الاستثمار في التحول الرقمي حجر الزاوية لتحسين جودة الخدمات في جميع القطاعات، بما في ذلك التعليم، الإدارة، والصحة.

الخاتمة

يمثل البحث الوثائقي أحد المداخل المنهجية الأساسية التي يبنى عليها صرح المعرفة العلمية، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يحتل موقعا محوريا في بلورة الإشكاليات وتأسيس الأطر النظرية ودعم التفسير والتحليل، ولقد استعرضنا في هذه المطبوعة المسار المنهجي المتكامل لهذا النوع من البحوث، بداية من التمهيد المفاهيمي، مرورا بتحديد مصادر المعلومات، وتقنيات التوثيق، وصولا إلى أدوات التحليل ومناهج التوظيف الأكاديمي.

وقد بيّن هذا المسار كيف أن البحث الوثائقي ليس مجرد عملية لجمع الوثائق، بل هو ممارسة فكرية نقدية تتطلب مهارات عقلية متعددة، منها :الاستقصاء، التقييم، التنظيم، والتركيب المعرفي، فالباحث الوثائقي لا يكتفي بالوصول إلى المعلومة، بل يعيد إنتاجها ضمن نسق علمي متماسك يخدم غرضا بحثيا دقيقا.

غير أن هذا النوع من البحث لا يخلو من التحديات؛ إذ يواجه الباحث اليوم بيئة معلوماتية متضخمة، تتسم أحيانا بـ"فوضى معرفية" نتيجة وفرة المصادر غير المحكمة، وانتشار المحتوى غير الموثوق، ومن هنا تبرز أهمية التمكن من مهارات التفكير النقدي والتحقق المعلوماتي، وكذلك القدرة على التمييز بين المصدر الأصلي والمصدر الثانوي، بين المعرفة المتخصصة والمعلومة العامة، بين العمق العلمي والسطحية.

أما الآفاق المستقبلية للبحث الوثائقي، فإنها تبدو واعدة ومفتوحة على إمكانيات غير مسبوقة بفضل التطور التكنولوجي المتسارع، فدخول الذكاء الاصطناعي في عمليات الفرز، والتصنيف، والتحليل، يعيد رسم ملامح البحث الوثائقي الحديث، ويمنح الباحث أدوات ذكية تساعده على تسريع الوصول إلى البيانات وتحليلها بدقة أعلى، كما أن الاعتماد المتزايد على قواعد البيانات الدولية، والنظم التوثيقية الرقمية، ومحركات البحث الأكاديمي يجعل من الضروري تكوين الطالب منذ سنواته الأولى على مهارات التعامل مع البيئة الرقمية العلمية.

وفي ضوء كل ذلك، فإن البحث الوثائقي لا ينبغي أن ينظر إليه كمرحلة تمهيدية فقط، بل كأحد الأعمدة الدائمة في كل مشروع بحثي، بغض النظر عن تخصصه أو مجاله، فهو يعزز العمق النظري، ويقوي البنية المفاهيمية، ويوجه المسارات المنهجية للباحث نحو نتائج أكثر مصداقية وصلابة.

إن طالب اليوم هو باحث الغد، وإتقانه لهذا النمط من البحث سيكون حجر الزاوية في مساره الأكاديمي، بل والمجتمعي، لأنه يمكّنه من التفكير الممنهج، والاستقلال المعرفي، والتعامل الرشيد مع المعلومة، وهي سمات الباحث المحترف والمواطن الواعي في آن واحد.

قائمة المراجع :

أولا: المراجع العربية

1. دراج، محمد فوزي. (2017). *منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية* .الجزائر: دار الهدى.
2. عبد الهادي، عبد الله. (2000). *البحث العلمي بين النظرية والتطبيق* .مصر: دار الفكر العربي.
3. عميمور، عبد المجيد. (2012). *مناهج وتقنيات البحث العلمي* .الجزائر: دار الهدى.
4. قاري، عبد الحق. (2016). *مدخل إلى المنهجية وتقنيات البحث في علم المعلومات* .الجزائر: دار الفجر.
5. بن الشعيرة، عبد الكريم، وسعيدي، نادية. (بدون تاريخ). *مفاهيم وتقنيات البحث الوثائقي* .الجزائر: دار الخلدونية.
6. لحواطي، يوسف. (2010). *المعلومات والتوثيق في العصر الرقمي* .الجزائر: دار الفجر.
7. النقيب، صالح. (بدون تاريخ). *مدخل إلى علم المعلومات* .الأردن: دار الشروق.
8. الخوري، سمير. (2020). *أخلاقيات البحث العلمي* .لبنان: دار الكتاب الجامعي.
9. عبد الرحيم، هدى. (2022). *مهارات التوثيق العلمي* .مصر: دار الكتاب الحديث.
10. قنديلجي، عامر إبراهيم. (2014). *مناهج البحث العلمي: أسس ومهارات* .الأردن: دار المسيرة.
11. الدالكي، خالد. (2009). *منهج البحث في العلوم الإنسانية* .الأردن: دار الثقافة.

12. الصاوي، أحمد. (1992). *مصادر المعلومات في العلوم الاجتماعية* .مصر: دار المعرفة الجامعية.

13. حافظ، أحمد. (1988). *أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية* .لبنان: دار النهضة العربية.

14. الشريف، يحيى. (1996). *تحليل البيانات الثانوية في البحوث الاجتماعية* .سوريا: دار الفكر.

15. أحمد، عاطف. (1979). *إحصاءات اجتماعية* .مصر: دار النهضة.

16. مهدي، عبد الرزاق. (1993). *أساسيات البحث العلمي* .مصر: دار المعرفة الجامعية.

17. نبيل علي. (1994). *المعرفة والمعلومات في العصر الرقمي* .الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

18. حشمت، إبراهيم. (1990). *المعلومات وتكنولوجيا الاتصال* .مصر: دار النشر.

19. أشرف، محمد. (2008). *خطوات إعداد البحث العلمي* .الجزائر: دار الهدى.

20. سعيد، عبد المجيد. (2017). *منهجية البحث الميداني في العلوم الاجتماعية* . الجزائر: دار خليل.

21. حمدي، ناصر. (2019). *البحث العلمي بين النظرية والتطبيق* .لبنان: دار الفارابي.

22. الفضلي، محمد. (2015). *أدوات وتقنيات البحث الأرشيفي* .الجزائر: دار ابن خلدون.

23. علي، كمال. (2020). *مراجعة الأدبيات في البحث العلمي* .العراق: دار البيان.

24. عبد الله، زينب. (2016). *طرق جمع البيانات في البحث الاجتماعي* .تونس: دار الزهراء.

25. أحمد، محسن. (2018). بطاقات البحث العلمي: تقنيات وتقويم .مصر: دار الجامعة الجديدة.

ثانيا: المراجع الحكومية والمنظمات الرسمية:

- **الوكالة الوطنية لترقية التجارة الإلكترونية :(ANPT)** هذا مصدر حكومي يتعلق بالتوجهات الرقمية في الجزائر.
- **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية** :مصدر رسمي من وزارة معنية بشؤون التعليم في الجزائر، ويعد مرجعا حكوميا في هذا السياق.

ثالثا: المراجع الإعلامية والصحفية:

- **جريدة الشروق الجزائرية** :هذا مصدر صحفي يتناول الموضوع من زاوية إعلامية، ويعكس الآراء والمواقف العامة المتعلقة بالتوثيق الرقمي في الجزائر.

رابعا: المراجع الدولية:

- **المنظمة العالمية للملكية الفكرية :(WIPO)** مرجع دولي يعنى بقضايا الملكية الفكرية وحمايتها في السياق الرقمي، مما يجعله مصدرا أكاديميا دوليا.

خامسا: المراجع الأجنبية :

1. Bowen, Glenn A. (2009). Document analysis as a qualitative research method. *Qualitative Research Journal*, 9(2), 27–40. https://doi.org/10.3316/QRJ0902027
2. Booth, Wayne C., Colomb, Gregory G., & Williams, Joseph M. (2016). *The craft of research* (4th ed.). Chicago, IL: University of Chicago Press.
3. Denzin, Norman K., & Lincoln, Yvonna S. (Eds.). (2018). *The SAGE handbook of qualitative research* (5th ed.). Thousand Oaks, CA: SAGE Publications.

4. Flick, Uwe. (2014). *An introduction to qualitative research* (5th ed.). London, UK: SAGE Publications.
5. Given, Lisa M. (Ed.). (2008). *The SAGE encyclopedia of qualitative research methods*. Thousand Oaks, CA: SAGE Publications.
6. Mason, Jennifer. (2002). *Qualitative researching* (2nd ed.). London, UK: SAGE Publications.
7. Creswell, John W. (2018). *Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches* (5th ed.). Thousand Oaks, CA: SAGE Publications.
8. Harris, Robert. (2017). *Using sources effectively: Strengthening your writing and avoiding plagiarism* (5th ed.). New York, NY: Routledge.
9. Deleuze, Gilles, & Bourgue, Pascal. (2005). *Méthodologie de la recherche documentaire*. Paris, France: Armand Colin.
10. Passeron, Jean-Claude. (1991). *Le raisonnement sociologique*. Paris, France: Nathan.
11. Chaumier, Serge. (1994). *La documentation aujourd'hui*. Paris, France: Éditions du Cercle de la Librairie.
12. Humblet, Jean-Emile. (1985). *La documentation*. Paris, France: Presses Universitaires de France.
13. Les métiers de la documentation. (1998). Paris, France: La Découverte.
14. Le Coadic, Yves-François. (2002). *La science de l'information*. Paris, France: Presses Universitaires de France.
15. Taurino, Salvatore. (2002). *La recherche documentaire: stratégies et méthodes*. Paris, France: Dunod.